لحظة بلحظة

إيلياء عمارة

اسم الكتاب: لحظة بلحظة.
تأليف: إيلياء عمارة.
المدير العام: نهى محمود.
تصميم وإخراج فني: همَّت العزب.
التصحيح اللُغوي: "أولي النُهى للتصحيح اللُغوي"
نهى محمود.
الطبعة الأولى: ٢٠١٩
رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق المصرية: ٢٠١٩/١٣١٤٧.

للنشر والتوزيع

١٧ش حسن وهبة من شارع الهرم الرئيسي
خلف كايرو مول.
موبايل / 01030850512
البريد الإلكتروني :
nohamahmoud.171186@gmail.com
elshahdpublishing2016@gmail.com

محفوظة جميع الحقوق

إهداء

إلى أبي وأمي

إلى إخوتي وأصدقائي

إلى معلميني وأصحاب الفضل عليَّ

إلى كلِّ من علَّمني وكلِّ من آلمني،

إلى كل من دعمني بكلمة أو بقراءة ما أكتب،

ومنحني جزءًا غال من وقته،

إلى من سيقرأ لي ويمنحني ثقته ووقته.

إلى نفسي...

وأخيرًا، إلى جروب صالون الأدب وأهله جميعًا،

فقد تعلَّمت منهم الكثير.

إيلياء عمارة

مقدمة

يمر العمر سريعًا، وتبقى بعض اللحظات رغم مرورها عالقة في ذاكرتنا، أو في تاريخ الإنسانية، لحظات نتمنى لو تُمحى من الذاكرة، وأخرى نتمنى لو نخلِّدها؛ لأنها صنعت فارقًا في حياتنا ووجداننا، فجمعت بعضها في مجموعتي القصصية هذه (لحظة بِلحظة) كتخليد لبعض اللحظات الجميلة في حياة أبطالها الحقيقيين، فدوَّنتها للذكرى، وأخرى مؤلمة لا نحب تذكرها، ولكن دونتها للعبرة، بين عبرة وذكرى، بين بداية ونهاية، بين حب كُلِّل بالأفعال الجميلة التي وثقته وِثاقا قويًا، وبين مشاعر عابرة لم تترك أثرًا سوى ألمًا في قلوب التأمت مع الأيام، بين وبين...، أتركككم مع القصص أملًا في أن أترك أثرًا طيبًا في نفس من يقرأها، وتعطيه جرعة من الأمل في عدالة الله وتدبيره لشؤوننا في أحلك الأوقات.

والله ولي التوفيق

لحظة البداية . . .

ابني وأبجدية الواقع

علِّمت ابني تلك العادة التي علَّمتها لي والدتي، ألا وهي أن يقرأ كل ما هو مكتوب ونحن في طريق عودتنا للمنزل، ها هو يقرأ، وأحيانًا يحفظ، مررنا بصيدلية، فقرأ المكتوب عليها وعرف اسمها، فسألني ما معنى تلك الأرقام؟

فقُلت له: هذا رقم الهاتف لنتصل بهم عند الحاجة، أو لتعذُّر قدرتنا النزول للشراء.

قال لي: أعلم يا أمي، لا أقصد رقم الهاتف، لكني أقصد رقم٧ ورقم ٢٤؟

فقُلت له: ملاحظتك قوية، أحسنت، لكن أخبرني أولًا، كم عدد أيام الأسبوع؟

فقال لي: سبعة.

فقُلت له: أحسنت وكم عدد ساعات اليوم؟

فقال لي: ٢٤ ساعة.

فقُلت له: أحسنت تلك الأرقام تعني أنهم يقدِّمون تلك الخدمة طوال أيام الأسبوع لمدة أربع وعشرين ساعة.

كان سعيدًا بتلك المعلومة، ويبدو أن ذاكرته لا تزال قوية؛ فدوَّن رقم الصيدلية في ذاكرته، وعند عودته للمنزل قام بكتابته في دفتر الأرقام بجوار الهاتف.

في اليوم التالي، وفي طريق عودتنا استمرَّ في القيام بتلك العادة، وسريعًا أخذ يقرأ أسماء الشوارع، وأسماء المحلَّات، وحتى الخدمات التي تقدمها، خبز طازج، تصليحات، تجليد كتب، تغليف هدايا، وهو يخزِّن، ويسأل، ويناقش، أحيانًا تتعبني كثرة أسئلته؛ لكن عليَّ أن أجيب لأحافظ على فضوله للمعرفة، ورغبته في التعلُّم، أسقيهما بصبري، واهتمامي، ومشاركته اللعب، فأقوم بتبادل الأدوار معه لأسئله ويُجيبني، مضى أول أسبوع دراسي سريعًا بين ضحك، ولعب، وجد، وحب، أركض لألحق بأداء عملي وأداء واجبي تجاه ابني والقيام بالأعمال المنزلية، مضى الوقت ولم أنتبه أنني بحاجة للراحة لبعض الوقت لأواصل رحلتي مع ابني في عامه الدراسي الجديد، ولكننا أحيانًا حينما نقصِّر في حق أنفسنا يعلن جسدنا العصيان، ويتوقف ليدافع عن نفسه بمرض يسقطنا رغمًا عنا؛ حتى نأخذ قسطًا من الراحة، لنختبر صدق مشاعر أحبتنا أو حتى مدى إحساننا أو عدمه في تربية أبنائنا، مرضت في عطلة نهاية الأسبوع وأحضر ابني الهاتف ليتصل بالصيدلية، تلك الصيدلية التي مررنا بها فلم يجبه أحد، مما أثار غضبه وعجبه، أليست تلك الصيدلية تفتح بابها لخدمتنا سبعة أيام وأربع وعشرين ساعة!!

ماذا سنفعل يا أمي؟

قلُت له: سنلجأ لصيدلية منزلنا.

قال لي: وهل لدينا صيدلية في منزلنا؟!

فقُلت له: نعم المشروبات الدافئة، والليمون صيدلية لا تغلق بابها طوال اليوم.

فساعدته وقمنا بإعداد العصير سويًا، ومضى هذا اليوم بين راحة ومراجعة الدروس مع ابني، وفي اليوم التالي تحاملت وتحايلت على نفسي لأذهب لعملي، وأوصل ابني لمدرسته، لم أتماثل للشفاء تمامًا؛ لكن رصيد إجازاتي قليل، ربَّما أحتاجه لوقت مرض ابني أكثر، وفي طريق ذهابي للعمل اشتريت الدواء لأستطيع مقاومة المرض، مضى اليوم سريعًا، وفي آخر اليوم اتصل زوجي ليطمئن عليَّ وعلى ابني فقُلت له: أنني بخير، وأنَّ كل شيء على ما يرام...

نظر لي ولدي متعجبًا، وفي عينيه تساؤل هل تكذبين يا أُمي؟ ثم أكمل حديث عينيه وقال لي: ألستِ مريضة؟ لِمَ أخفيتِ عن والدي أنكِ متعبة ليأخذ إجازة ويأتي ليعتني بكِ وبي؟! ابتسمت وقُلت له: أنا بخير لأنك بجواري، سأصبح بخير قريبًا، لن يستطيع والدك أخذ إجازة، سيحزن فقط، ولن يتمكن من فعل

شيء؛ لذا لم أخبره حقيقة مرضي...

صمت قليلًا وفي عينيه تساؤل أليس هذا كذبًا؟!

قلت: بلى.

فقال لي: وتلك الصيدلية أليست كاذبة؟!

فقُلت: نعم

فنظر لي وهو يقول: كله كذب، أكره الكذب.

فقُلت له: الكذب فعل سيء، وليس بوسعنا جعل كل الناس صادقين؛ لكن بوسعنا أن نتحرى الصدق بقدر استطاعتنا.

رمقني محاولًا استيعاب تلك القيمة، وأنا متحيرة بين تعليمه القراءة و الكتابة، وبين تعليمه أبجدية الواقع التي نرفضها، ونحيا فيه رغمًا عنا، نحاول تغييره بقدر استطاعتنا، فنصيب الهدف تارة، ونخطأ التصويب تارة أخرى، وبين هذه وتلك نصارع لنبقى أحياءً، لا مجرد أرقام على قائمة الأحياء...

ابني ذو السبعة أعوام يتعلم الأبجدية، لكن ليس بوسعي إخباره بكل شيء...

لحظة فارقة

نصف الحقيقة

هل قول نصف الحقيقة يُعدْ كذبًا؟ لا يمكن إخبار الناس بالحقيقة الكاملة، فالبوح بها كاملة أحيانًا يؤلمنا، يجدِّد آلامًا نحاول تسكينها، بل و أحيانًا يضع ملحًا فوق جروح لم تندمل بعد، يستجدي تعاطفًا لا نرغب به مطلقًا، أحيانًا تضعنا أقدارنا موضعًا لم نخطط له يومًا، الوضع كان أشبه بفعلتنا ونحن صغار، يوم كنا نخبر أمهاتنا بنصف القصة خوفًا من العقاب أو العتاب، وهذا ما فعلته أخفيت نصف الحقيقة وربَّما ثلاث أرباعها، واختبأت وراء الخيال لأنه لم يكن بوسعي أن أحيا واقعي كما كنت أتمنى، فرُحت أنسج بخيالي واقعًا جميلًا لي ولغيري، رُحت أرسم الأمل وأنا أحوج الناس إليه، كنت أتحدث عن الحب وأنا أكثر من يفتقده، وأُلوِّن العالم باللون الوردي تارة ليبتهج الناس، وألوِّنه بلون الصباح -وأنا أحيا ليلًا حالكًا لا ينتهي- تارة أخرى.

أكتب عن أحلامي التي بخلت عليَّ الحياة بها، كتبت عن رحلاتي التي خطَّطت لها يومًا، كتبت عن قصة حبي التي لم تكتمل وكأنها لا تزال واقعًا، على الرغم من أنها أصبحت ماضيًا، بل وماض مؤلم، كتبت عن هدفي الذي لم أكن أتخيل حياتي دونه كأنه قد تحقَّق، بَيْدَ أني لم أتمكن حتى من بناء لبنة واحدة منه،

كانت لديَّ الكثير من الأحلام، بل أني كنت أتساءل هل ستتسع الأرض لأحلامي؟ وكنت أسابق الوقت لأدرس وأتفوق وأستعد لتحقيق حلمي، ولم أكن أُضيع دقائق حتى في هواياتي أو في أي لهو، كنت أضع خطة محكمة لحياتي ولم أضع لها بدائل، ولم أضع بدائل؟ لماذا لا أعمل في تخصصي الذي كنت أريده واجتهدت في دراستي لأحققه؟! لماذا لا أتزوج ممن يحبني و أحبه واحترمَ أهلي واحترمني وكلَّل الحب بالخِطبة؟!

كنت أتصور أني سأتخرَّج لأعمل، وأتزوج من حبيبي، وأنجب منه أبناء، ونجوب العالم في رحلاتنا سويًا، ولم أكن أتخيل أن ينتهي بي المطاف وأنا وحيدة في منزلي، لا أتمكن حتى من الذهاب لأقرب مكان بمفردي، كان لي أجمل حبيب وأجمل حلم حتى جاءت لحظة الحقيقة، حقيقة الحياة، حقيقة الحب، حقيقة الأصدقاء، وحقيقة الأحلام، ففي حياة كل منَّا لحظة فارقة، لكن بالنسبة لي تلك اللحظة كانت مؤلمة جدًا، صادمة، فارقة، وفاصلة، بالرغم من أنها لحظة، لكنها قلبت حياتي رأسًا على عقب، فقد كنت فتاة مُفعَّمة بالحياة والنشاط والحب، وكانت دراستي عن الآثار، ولم تكن مجرد دراسة بل كانت حياة، كنت أحب التاريخ، أحب وطني، وأحب تلك الآثار التي تركها

أجدادي لتحكي لنا قصة النجاح والإبداع والأحلام، وكيف بوسعها أن تصبح واقعًا، وبعد أن تخرَّجت في الجامعة، وفي رحلة مع أصدقائي سقطت من مكان مرتفع؛ وأصبت بشلل، وبعدها بدأ فصل آخر من حياتي لم أخطط له يومًا، فلم يعد بوسعي أن أركض كما كنت أفعل، لم يعد بوسعي أن أسافر، أن أعمل في تخصصي الذي أردته دومًا (السياحة)، لقد سقطت وتوارت أحلامي، وسقطت أرضًا، ومن تخيَّرته ليكون سندي تخلى عني...

لم يمسكني لأقف على قدمي من جديد، أعلم أنه ليس بوسعي الوقوف على قدميَّ مرة أخرى، ولم أعترض على قضاء الله، لكنني كنت أظنه سوف يكون سندي كما كان يفعل، كنت أظنَّه سيقف ليقول لي أن الحياة لا تتوقف عند حلم بعينه، وأنَّه بوسعنا إضافة أحلام جديدة لحياتنا حينما يفرض علينا القدر تعديل خططنا، لكنه لم يفعل، وتركني وحيدة أتجرع ألم الصدمة، وغادر حياتي، ثمَّ قرَّر أن يختار لنفسه حياة جديدة، بدت لي الحياة كئيبة مؤلمة، كيف ستمضي حياتي بتلك الصورة؟ لماذا أنا؟ لماذا لم يعد بوسعي أن أحقِّق أحلامي؟ لم أعترض على قضاء الله يومًا، لكنَّني لم أكن أفهم، كنت في حالة استياء لأنَّني لا أعرف كيف ستمضي الحياة بي، على من سأتكئ لأكملها؟ هل

بوسعي أن أفتح قلبي للحياة وأحلم من جديد؟ هل سيزور الحب قلبي أم أن صدمتي الأولى أغلقت منافذ قلبي جيدًا حتى لا تجدد الحياة الألم نفسه مع قصة أخرى، أمضيت أيامًا وليال في مخدعي بين بكاء ونحيب ودعاء وصمت؛ كي لا أتلفظ بما يغضب ربي، ثم بدأت محاولة استعادة نفسي والتقاط أنفاسي للحياة من جديد، خلقني الله لغاية، وكان لي هدف لم أتمكن من تحقيقه، فلي أن أبحث عن آخر، لكن رحلة البحث من جديد لم تكن سهلة، لكن عليَّ أن أبحث وسأصل يومًا.

ماذا أحب؟ وما الذي أجيده؟ وللأسف، وجدت نفسي قد تركت هواياتي وما أحب من أجل دراستي ورحلاتي، بدأت أفتش عن هواياتي، فساعدتني والدتي قليلا، فذكرتني بحبي للرسم والكتابة، لكن ذلك كان منذ زمن بعيد، كان البحث عن هوايتي أشبه بالتنقيب عن آثار انهالت عليها أكوام من الرمال، لكن الذهب يستحق ذلك المجهود وأكثر، وليس لدي خيار آخر، بدأت الرسم، ولكن صوري كانت رمادية كواقعي، وأثناء رحلة بحثي تركتني والدتي لأكمل تلك الرحلة وحدي، تركتني وحدي وقد كانت آخر من أتعكز عليه، ففجَّر ذلك الألم الحروف والكلمات من قلبي على الورق، فكان القلم صديقي الذي أبثه

حزني، وكتفي الذي أستند عليه، وحبا كتبت سطوره على الورق لأنني لم أتمكن من أن أعيشه، فرُحت أكتب أجمل القصص فوجدت نافذة بوسعي أن أنظر منها للعالم، عالم جديد خال من التوقعات والخذلان، خال من نظرات الشفقة المؤلمة، تصفيق حاد دون صوت، على معزوفة من كلمات دون صوت أيضًا، بواسطة زر صغير بوسعك أن ترسم بسمة وحلمًا وأملًا وأنت تكاد تختنق من الوحشة، الكتابة كانت أشبه بممارسة السباحة، أفقد معها تأثير الجاذبية فأحلق دون قيود، كنت أكذب حين أبثهم الأمل وأنا بحاجة إليه أكثر منهم، كنت ألتقط صورة لنفسي وأنا مبتسمة، وفي قلبي ألف وجع، والحقيقة أن ذلك العالم منحني سعادة، فكنت أكتب لأتخلص من الألم، ولم أكن أعلم أنه بوسعي أن أترك أثرًا، فكان صندوق الرسائل مليئا بتلك الرسائل التي تخبرني أنني صنعت فارقًا، دون أن يعلم مرسلوها أن من بث فيهم الأمل كان محطما فاقداً لأحبته، وحيدًا، ليس بوسعه أن يعبر شارعا، أو أن يذهب في رحلة دون استجداء من يعينه، كنت أقرأ الرسالة وأبتسم دون رد أو تعليق، لم أكن أريد أناسا مجددًا في حياتي، فوجودهم متعلق بالخذلان بصورة أو بأخرى، مضت سنتان من عمري في هذا السجن، أكتب وأبتسم وأبث الأمل وأنا

وحيدة، واقترب رصيد المال من النفاذ، وكان لابد من التفكير في شيء حقيقي لأفعله، حتى لا أموت داخل تلك المقبرة الكبيرة، فقررت بيع بيتي الكبير، واشتريت آخر أصغر في الطابق الأرضي، خصصت جزءا منه لعملي والآخر لسكني، رحت أرسم على الجدران رسومات من وحي تاريخ بلادي، ورحت أتخيل كيف بوسعي قص التاريخ بصورة جميلة ليحبه الأطفال كما كنت أحبه، بدأت أقرأ وأكتب وأدرس من جديد، ووضعت إعلانًا عن دروس للتاريخ بطريقة ممتعة، وبدأت الاتصالات، وبدأت رحلة جديدة في حياتي أكثر قربًا، ولكن أعمق تأثيرًا، فبدأت أرى في نظرات تلاميذي ذلك الحب والفخر بتاريخهم، واستعدت نظرات الحب والأمل من ناس يعرفونني حقًا، فبدأت أشعر بأثر حقيقي وأنا بحقيقتي الكاملة دون زيف أو إخفاء شيء من الحقيقة، تضاعفت سعادتي حين ظهرت نتائج تلاميذي، وتفوقوا في مادة التاريخ، وبدأت أستعيد ثقتي بنفسي، ولم تسعني الدنيا حينما نظم أولياء الأمور رحلة لأبنائهم ودعوني لأشاركهم فيها، قبل الموافقة، تذكرت آخر رحلة، وتذكرت ألمي وقتها، وتذكرت تلك اللحظة الفاصلة، ثم استعدت أنفاسي حين نظرت لحياتي وأنا أشعر برضا عنها بهذه الصورة التي لم أُخطط لها يوما، لكنها

كانت جميلة لأنها من تدبير الله، فوافقت وأنا سعيدة بتلك الرحلة، وشعرت بأنها مكافأة من ربي على الرضا الذي رافقني في رحلتي برغم قسوتها، فكانت أجمل رحلاتي على الإطلاق، وحرصت على تعليم تلاميذي دائما الخطط البديلة، كي لا تصدمهم الحياة عندما تفاجئهم بما لم يكن في الحسبان، لم تنتهِ قصتي، مازالت مليئة بالرحلات والخطط البديلة والمفاجآت، ولا يزال زادي فيها الرضا والصبر.

لحظة تردد . . .

شعور صامت

وقفت في شرفة منزلي كعادتي منتظرًا سيارة العمل، أراقبها وهي تركض لتلحق بموعد طابور الصباح، ثم الجامعة، ثم العمل، وكانت السنوات تركض، وأنا أراقبها في صمت، أرسم صورة لحياتنا سويًا، وأحلم بذلك اليوم الذي يجمعنا الله فيه، أطير فرحًا حينما ترد التحية عليَّ ووجهها تنيره ابتسامة رضا، أشعر أنها تكن لي شعورًا كالذي أكنه لها منذ سنوات، مضت السنوات وأنا متردد خائف سعيد بجوارها وبُعدها، أخشى أن يتحول ذلك الشعور الجميل لآخر، أخشى أن يخفت الشعور الجميل وتصيبنى الحياة بداء الملل، فيتوقف قلبي عن النبض بالحب والحياة كمن أراهم حولي، أقرر أن أتجاوز خوفي وترددي وصمتي وأتحدث، أقول لها أنني أُحبها، وأريد الزواج منها، ثم ينعقد لساني كأنني لا أملك القدرة على الكلام، لم أدرك كيف مضت السنوات ونحن بالجوار نتبادل التحية في الصباح، وربما في المساء إذا صادف موعد عودتي من عملي رجوعها من زيارة عائلية أو لإحدى جاراتها، ونحن لم نتحدث في شيء آخر، ولم يعلن أحدنا عن حبه للآخر، لكن ما أجمل هذا الشعور الصامت، تلك الربكة التي تصيب قلبي وتفقدني توازني حينما أراها، احمرار وجهها وخجلها حين تراني، لمَ تتحول تلك المشاعر إلى غضب

وحزن وصراع، مرة من أجل مصروف المنزل، ومرة من أجل اختلاف وجهات نظرنا لتربية أبناءنا، وثالثة لخلاف بسيط في أي شيء كما يفعل كل أصدقائي وإخوتي، خلاف كبير من أجل أسباب تافهة، حياة تكاد تنتهي يوميًا، صراع، بل صداع مزمن اسمه الزواج، أخذت حقيبتي، واتجهت لعملي بمشاكله وهمومه التي تكفيني جدًا، ولست بحاجة لمزيد من مشاكل أسرية أخرى، وإن كانت منكّهة بطعم الحب. عدت من عملي لأسمعها، لأسمع أغنيتنا التي تعبر عنا كثيرا (نشبه لإيه؟ نشبه لأي اتنين يحبوا وما يقولوش للي خايفين يحلموا فما بيعيشوش ومالقوش طريق يتقابلوا فيه نشبه لإيييه؟!) وسرحت مع الأغنية، أسترجع تلك السنين التى تطايرت كذرات رماد، أو دخان سيجارة محترقة أحرقتنا واحترقت معنا، وانتهينا منها، ولم نتمكن من استعادتها، كل ما يمكننا فعله هو اللحاق بالمتبقي من العمر مع من نحبهم، ولكن في هدوء دون صراع ومشاكل، وهذا أشبه بحلم مستحيل، فظللت أفكر هل أستمر في تلك القصة؟ أم أسطر غدًا سطور نهايتها أو البداية؟ وغلبني النوم، واستيقظت لأركض لعملي ولم ألحق بها في هذا اليوم، وكان يومًا سيئًا كأي يوم لا أراها فيه...

لحظة ألم . . .

بوزن الريشة !

بحجم الريشة أنا، وكذا بوزنها، يبدو للناس أنني سهل الحمل، ولكن من رحمة الله بي أن جعل وزني خفيفًا، كي لا أكون حملًا على أحد، وأنا حمل ثقيل -شئتُ أم أبيتُ- عليهم، وعلى المجتمع وعلى نفسي، آكل كثيرًا محاولًا الحفاظ على تواجدي في هذا العالم، ولا يزداد وزني، أو حجم تواجدي، فأنا بقدر رغبتي في الحياة، بقدر كرهي لها و حنقي عليها، وبقدر كراهيتي لمجتمعي، أصارع الحياة لأبقى على قيدها، وتأخذ مني الحياة حياة، لست لغزًا أو فزورة، أنا طفل ككل الأطفال، ولدت في هذا المجتمع، لكن لم أحط بالقدر الكافي من الحب دون أي ذنب أذنبته أو جرم أجرمته، كل ذنبي إنني لم أحصل على القدر الكافي من الحب لأكون إنسانا كباقي الناس، ولكن النظر من زاوية أخرى، فأنا أحصل على قسط من الحب، لكن ليس هذا هو قسطي من الحب، فقد يكون قسطي أكبر أو يليق بي أكثر، أنظر إلى زملائي في الصف، فحالي ليس أسوأ من حالهم كثيرًا، فأنا فاقد لأمي وأبي، وأحصل على الحب من آخرين، وهم أمهاتهم وآبائهم أحياء ولا يحصلون على قدر كاف من الحب منهم، وأحيانًا يحصلون على الحب من الآخرين أيضا، غرباء عني في الصباح يصطحبونني باهتمام لمدرستي، وأهلهم يلقونهم في

المدرسة، ليذهبوا لأعمالهم ويعملوا باهتمام، يموت الناس لنقص الأكسجين، ونموت نحن لنقص منسوب الحب المنكّه بالنسب والمعرفة والاهتمام، أحمد الله وأسجد له شكرًا على حالي، ولكن هناك غصة تعكر صَفْوَ أيامي، سأفعل وأفعل وأنتج وأبقى أنا في القائمة السوداء، ويبقى هؤلاء هم الأفضل، دون ذنب أذنبته، سوى أنني ولدت في مجتمع ازدواجي لأم وأب لم يعترفوا بي، ولم يقوَ كلاهما على مصارعة العالم من أجلي؛ فماتت حياتي وبقيت -أنا- أصارع العالم، وأتحمل نتيجة خطأ أخطأوه هم.... طفل يتيم.

لحظة ظن!

كنت أظنه رجلاً!

كان لي تصور معين عن الحب، لم أكن أخشى ذلك الشعور أو أظنه ضعفًا، لدي من الثقة بالنفس والصدق ما يجعلني لا أخجل من التعبير عن شعوري أمام أهلي وأصدقائي، أنا لم أفعل ما يخجلني، ولا أفعل ما يخجلني لأخفيه، عادة ما كنت أخبر أمي إعجابي بأحدهم، ولم يحدث أن استمر إعجابي ليصير حبًا، لكن تلك المرة كان إعجابي مختلفا و كبيرًا، على ما يبدو أنه شخص يستحق ذلك الإعجاب، لم أكن أعرف الحب لأستطيع تحديد حقيقة مشاعري تجاهه، وهل هو حب أم مجرد إعجاب؟

لكن أحيانا يصاب قلبك بالعمى فلا ترى، و يُحيطك أحدهم باهتمام، حتى لا تجد تفسيرا لذلك سوى أنه أحبك، اهتمام يجعلك ترتبك، فيختلط عليك الأمر، حتى تظن أنه حبًا، لا تستوعب شعورك بسبب الاهتمام، الأمر أشبه بسماء ملبدة بالغيوم؛ فلا ترى الشمس، شمس الحقيقة، حقيقة شعورك، حقيقة شعور من يدعي أنه يحبك، وحقيقة كل شيء، ولولا رحمة من الله تنالك، لضللت الطريق، ولظل قلبك في الوهم سعيدًا، فقد كان يبدو كرجل محترم يعرفه بذلك كل من تعامل معه، هذا هو الظاهر، ولنا ظاهر أيضا، لم أكن أنتظر من شخص محترم مثله كل هذا الاهتمام، إلا لفرضية حبه لي، جميل أن

يحبك شخص مشهود له بالاحترام، ربما كان يسعدني احترامه لي أكثر من اهتمامه، فأنا أعلم أننا حين نحب نعبر عن حبنا بالاهتمام، نتصرف دون أن ننتبه، فيظهر شعورنا أمام الجميع فاضحًا لنا، كان يفعل هذا، حتى ظننته يحبني، كنت أنتظر منه أن يتقدم لخطبتي، فسعادتي باحترامه واهتمامه لم تجعلني أخبر أمي فقط، بل إن سعادتي جعلتني أخبر أبي أيضا، مضت الأيام ولا زلنا عند نقطة الصفر، ذلك الاهتمام المبالغ فيه وغير المبرر، والانتظار الممل، حتى أرسل الله لي ملاكًا على هيئة بشر ليخبرني حقيقة ذلك الشخص، الذي كان ممثلًا محترفًا كاذبًا بطريقة احترافية، كان يظهر بصورة الشخص المحترم المهذب، لكنه كان يخفي داخله شخصا آخر، كاذب ومحترف ولص خائن، كان يظهر ابتسامة هادئة جادة، يحافظ على صلاته، لكنه لم يكن يحفظ صلته بربه بصدق حديثه، عام كامل لم يتحدث مرة ولو دون قصد عن زوجته وأبنائه، وكأنهم غير موجودين، فكان يتحدث عن أبحاثه وآرائه السياسية وقناعاته الفكرية ما يُحب ويكره، لكن لم يكن يتحدث عنها، لم أكن أتوقع أن شخصا مثله سيكون كاذبا، لم الكذب؟! نحن نكذب حينما نضطر إلى ذلك، لكن ما الذي يدفع رجلا إلى نكران زوجته والاهتمام بأخرى!؟

ما كنت أتصوره هو أن الرجل حين يتزوج، يتعامل مع باقي النساء كشقيقات له لا غير، لكن الواقع يكشف صورة أخرى، إنه يتنصل من زوجته، ليرى سعادة فتاة باهتمامه، ويستمتع قليلا بتلك القصة، حتى تكتشف إحداهن القصة. وأما زوجته المسكينة فتعاتبه وتتألم قليلا، ثم تصمت لتحافظ على البيت والأبناء، أو أن تعاتبه تلك الفتاة التي فسرت بجهلها وصدقها ذلك الاهتمام حبًا، إن كانت تمتلك الجرأة لذلك، فيقول لها لم أتحدث عن زوجتي طوال العام لأنني لا أشعر بوجودها في حياتي، فلماذا لا يُخبر زوجته بأنها غائبة وأنه لا يشعر بوجودها؟ ربما لأنه لو قال ذلك لأخبرته من منا غائب يا ترى؟!

أو توفر العتب وتتجاهله، كحشرة أزعجها صوتها قليلًا فتجاهلته كأنه لم يكن، ولأنها لا تملك الجرأة الكافية لأن تعاتبه، وأكثر حكمة من أن تعاتب خائنا، فمن خان زوجته، أم أبنائه ولو بشعور واهتمام لأخرى، لا يستحق أن تتلفت وتنظر إليه أو تعاتبه، مضى ذلك الشعور وتلك التجربة، تاركة في نفسي مزيجا من حزن وحكمة وقوة وسعادة ويقين.

حزن، لأني تعاملت ببراءة وصدق مع من لا أعرفه، فأصبحت أتحلى بكثير من الحرص قبل أن أحكم على أحد،

وأتــرك المواقــف الحقيقيــة وحــدها لتخــبرني بحقيقــتهم، لا لأحاديثهم ولأفكارهم.

حكمـة، لأن الرجـال حينمـا يحبـون بـصدق، لا يعـبرون أو يهتمـون، ولا يطرقـون بـاب القلـب باهتمـام قبـل أن يطرقـوا بـاب الأهل بسؤال وخِطبة وزواج.

سعادة، لأنني كنت سعيدة بذلك الاهتمام، لكن قلبي لم تصبه عدوى حب خائن، وأنه أصبح أكثر قوة، ولا يلفته أي اهتمام عابر...

يقـين، لأن الله يحـيط الـصادقين برحمتـه، ويبعـث لهـم في الوقت المناسب من ينقذهم من كل سوء، لكن هذا لا يمنع من أن نتحلى بكثير من الحكمة، خاصة مع من يحاول دخول حياتنا، فليس كل من يدعي الصدق صادقًا، وليس كل من يهتم يكون جديرًا بالقلب.

لحظة حب،

لحظةٌ بلحظةٍ ..

كنت أظن أن العقود هي من توثق عهود الحب، لكن أثبتت لي الأيام أن الأفعال هي من تثبتها أو تُنفيها، وما أجملها الأيام حين تثبت لنا أن اختياراتنا كانت جيدة، وما أجمله الحب حينما يُكلِّل بالوفاء، بل ما أجمل أن نجد من يساندنا ويقف إلى جانبنا في أصعب الأيام، بل حتى عندما نفقد ثقتنا بأنفسنا وقدرتنا على أن نكمل.!

لم أكن من الفتيات المنبهرات بالزواج عن حب، كنت أُفضل زواج العقل، فقد كنت أحترم خيارات العقل وأرجحها في كل حياتي، فكان اللقاء لقاء تعارف وسط الأهل بين أحاديث عامة، وأخرى شخصية تخص كلينا، عما نحب وما نكره وانتهى اللقاء بالارتياح والقبول منا نحن الاثنين، وتكررت اللقاءات، وبدا التفاهم والتقارب في كثير من الأمور، وبدأ يتسلل الحب، لم أكن أفهم في البداية أن ما أشعر به تجاهه كان حبًا، لكنني كنت لا أملّ الحديث معه أبدًا، وكنت أنتظر لقاءاتنا بترقب عجيب لم يحدث لي من قبل، لم أشعر بالخوف من فكرة الخِطبة والزواج كما كنت قبل أن أعرفه، أحب مشاركته كل شيء وأي شيء، وأنا التي لا أحب أن يشاركني أحد أي شيء يخصني، والجميل والغريب في آنٍ واحد أنه كان شعورًا متبادلًا، كان خَيارًا نابعا من العقل، لكنه تحول لخَيار يريح القلب ويسعده.!!

مضت أيام الخِطبة سريعًا، وبدأنا زواجنا السعيد، وسافرت أنا وزوجي في رحلة بداية زواجنا التي مضت سريعًا هي الأخرى، وانتهت إجازة زوجي من العمل، وكان لدي أسبوعا آخر لأمضيه وحدي قبل أن أعود لعملي أنا أيضا من جديد، كان عش زوجيتنا جميلا ولكن الوقت فيه كان مملا، يمر ببطء شديد، خاصة بعد أن اعتدت وجوده بقربي طوال تلك الفترة، الآن عاد لينشغل بعمله عني، وبدأت أُنظم المنزل لأقضي الوقت، وأحاول إعداد كمية طعام تكفي لفترة لا بأس بها؛ حتى أعود لعملي وأنا مطمئنة أنني لن أُقصر في حق زوجي.

وفي مرة، لم أنتبه -وأنا أشعل النار تحت الموقد- بأن الغاز يتسرب من إحدى العيون الخلفية له، وبمجرد أن أشعلت عود ثقاب حتى اشتعل الغاز الذي كان قد ملأ المكان، ونال مني، لا أذكر ما حدث بعدها؟ وكيف مضت تلك اللحظات الأليمة؟ ولا من أنقذني؟ لكن كل ما أذكره هو ما قام به زوجي بعد ذلك، فقد كنت أرتدي وقتها ملابس مصنوعة من ألياف صناعية سريعة الاشتعال؛ جعلت جسدي يحترق، وكانت مساحة الجلد المحترق كبيرة، والحرق لم يكن لطبقة البشرة فقط، بل كان عميقًا، وتشوَّه وجهي وجسدي، وبدأنا رحلة جديدة من حياتنا،

فقدت وعيي لأيام، ولم أكن أعرف تفاصيل ما حدث سوى ذلك الاشتعال، وما كنت أرتدي، والآن أنا طريحة الفراش، أتألم ولا أعرف ما أصابني تحديدًا، لكن يبدو أن ملامحي كانت أقرب للقبح من الجمال، لم أكن أدري كيف كان شكلي؟ لكنني حينما استيقظت بعد أيام لم أرى أية مرايا في المنزل؛ فقد كانت مخفية بصور طبيعية، لا أثر لها، صغيرة كانت أم كبيرة، تمنيت لو كان بوسعي أن أرى كيف بدا شكلي؟ فأنا أتألم، ومعظم أجزاء جسدي قد احترقت، ووجهي لم يسلم، لكن تعمد زوجي إخفاء المرايا، ووعدني أنه سيجعلني أرى كيف كان شكلي بعد أن نُتم رحلة العلاج، حقيقة لم أكن أعتقد أننا سنكملها، كنت أظن أنني سأموت، بل كنت أرى الموت أفضل ما قد يحدث، فما ذنب زوجي أن يكمل حياته مع زوجة مشوهة فقدت جمال شكلها، وفقدت حتى ابتسامتها وجمال روحها، بل أصابها اليأس حتى صار الحديث معها مملا، هكذا كنت أراني، لكنه كان يراني بعين أخرى، لا أعرف من أين له كل ذلك الصبر وتلك القوة والإصرار التي منحني إياهم، قال الطبيب أنني لن أعود كما كنت، وأنني سأحتاج لمن يعالجني كممرضة تلزم المنزل معي لتضع المراهم وتعتني بي، لكن زوجي قرر أن يقوم هو بالمهمة لأنه يرى أنه

أفضل مَن قد يعتني بي، كان يفعل ذلك دون تذمر وكأنني طفلته، كان يبثني الأمل، وكأنه على ثقة من أنني سأتماثل للشفاء، وكنا قد اشترينا قبل زواجنا كاميرا لنلتقط بها الصور لنا في رحلاتنا ومراحل حياتنا المختلفة، لكن القدر شاء أن يكون لها دورًا آخرًا، فقد كان زوجي يلتقط صوري وأنا أتماثل للشفاء لحظة بلحظة، كان يشاركني الصور ولا يدعني أرى أيًا منها، مضت أيام من عمرنا، ليست كما كنا نتخيل، فقد كنت أظنني سأحتفل بذكرى زواجي في عامي الأول، وربما كان سيشاركنا الاحتفال ثمرة حبنا وأول أبناءنا، لكنه لم يحدث هذا، فقد كانت ثمرة حبنا هو الوفاء، تلك اللحظات التي قضاها زوجي معي مضحيًا بعمله وأصدقائه وحتى ماله، الذي كنا ننوي من خلاله القيام برحلة عمرة سويا بعد زواجنا، ضحى به ليأخذ إجازة من عمله، ويتفرغ لراحتي وعلاجي، وبعد عام كنت قد تماثلت للشفاء بنسبة كبيرة، ولكنني احتجت لعملية تجميل لوجهي، ولم يتوان زوجي عن بيع سيارته، لنقوم بإجراء تلك العملية، وأستعيد ثقتي بنفسي وبالحياة وبمن حولي، ولم أكن أخطط لهذه المرحلة من حياتي، ولم أكن أتصور أن هناك وفاء في هذا العالم بتلك الصورة، ما حدث ليس قصة من وحي خيالي، فهذا ما حدث معي فعلًا مع ذلك الرجل

الذي اخترته بعقلي، وتعلقت به بقلبي، فأثبت لي بالقول والفعل أن الحب لا يزال حيا، وأن الوفاء مازال موجودًا، وأن الحياة كما تحوي أسوأ الصور تضم أجملها كذلك.

ككثير من الشباب، كانت زوجتي خيارًا عقليًا، فتاة متوسطة الجمال، تتمتع بروح جميلة وعقل واع، شعرت منذ اللقاء الأول أنها من أردت، تسلَّلت لقلبي سريعًا، وتأكدت أنها تناسبني، ومع الأيام وجدت فيها الصديقة والحبيبة التي أرغب أن أحيا معها عمرًا، وفي ذلك اليوم، أول يوم عمل شعرت أن اليوم كان طويلا، فاستأذنت من عملي مبكرًا عن موعد انتهاء العمل، وكأن الله أرسلني لأنقذها، وصلت وكانت تحترق، أسرعت لأنقذها، واتصلت بالإسعاف، وبدأنا الرحلة، رحلة العلاج، نعم، كنا نضع خطة مختلفة لحياتنا، لكن كانت تلك التجربة الأليمة اختبار لمدى تمسَّك كلٌ منَّا بالآخر، وبرغم أن ملامحها تأثرت كثيرًا وتغيرت أكثر، لكنني أحببت الروح قبل الجسد، وأحببت عقلها وقلبها، فلا تؤثر في حبي لها تلك التغييرات السطحية، قبل أن تفيق زوجتي، تعمدت أن ألصق صورا جميلة على كل مرايا المنزل؛ حتى لا تتأثر نفسيتها سلبا بعد أن ترى وجهها في المرآة، وأخذت إجازة طويلة من عملي لأعتني بها، نعم، كان بوسعي أن

أستعين بممرضة كما نصحني الطبيب، لكنَّني شعرت بأنني أفضل من يعتني بها وبمرضها، الممرضة بوسعها أن تهتم بعلاج الحروق والألم الجسدي، لكن دعمي لها وتواجدي بجوارها سيخفِّف عنها الألم النفسي، كانت تلح عليَّ زوجتي بأن أسمح لها برؤية وجهها في المرآة، لكنني كنت أخشى عليها، واستعنت بالكاميرا لأوثق لحظات تحسنها لحظة بِلحظة، حتى تشاهدها يوم تماثلها للشفاء، مضت السنة الأولى، واحتفلنا بعيد زواجنا دون أن يشاركنا أحد تلك الذكرى، فما زال وجهها يحوي أثرًا للحروق، وما زالت تشعر بحرج من رؤية أحد، فقررت بيع سيارتي لنقوم بعملية تجميل لوجهها، كنت أراها دومًا جميلة حتى في أشد لحظات ألمها ومرضها، لكني أردت أن تستعيد ثقتها بنفسها وبالحياة، وعادت لي كما كانت تملأ حياتي ببسمتها وطيب حديثها وعقلها وتقديرها لما فعلت، لكنني لم أفعل سوى واجبي تجاه من اخترتها زوجة بعقلي، وتعلَّق بها قلبي وروحي.

لحظة حرية

لم تعد تدور في فلكه

كادت تطير من السعادة حينما التقت به صباح اليوم، ملأت الإبتسامة وجهها، وأشرقت روحها وكأن فجر الحياة يعلن بزوغه عند رؤيته، كانت عينيها تلمع سعادة، وقلبها ينتفض فرحًا، كان يومها مفعمًا بالحيوية والنشاط؛ فتعجبت صديقاتها من تلك الروح، وبدا وكأن أمرًا جديدًا قد طرأ على حياتها، كانت متحمسة للعمل وللحديث، وكان بوسعها أن تساعد أي شخص حتى من تكره، في ذلك اليوم، شعرت وأن فؤادها لم يعد يحوي سوى حبًا وعطاءً وسعادةً، تسائلت صديقاتها عن سر تلك السعادة وعن الروح الجديدة؟ وأضافوا سؤالًا محددًا، هل أفصح لك عن مشاعره؟ وهل يبادلك الشعور نفسه؟ يبدو أنها لم تنتبه لشعورها وانعكاسه على تصرفاتها، هل بدا عليها كل تلك السعادة؟ فكأن سؤالهم كان ارتطام لمشاعرها بصخرة الواقع، فهو لم يقل شيئًا، ويبدو أنه لن يقول، سنوات طويلة من معرفتهم ولقاءاتهم المتكررة ولم يتحدث، ترفض هذا وذاك، وهو يلتزم الصمت، تمنحه بينها وبين نفسها مئات الفرص، وآلاف الأعذار، وهو لا يبدي شعورًا محددًا يجعلها تنتظر من جديد، أو سببًا منطقيًا يجعلها تعذره حقًا، ذلك الاهتمام السخيف المبالغ فيه، الذي يجعلها عالقة لا تطال أرض الواقع، ولا تحلق معه حتى في سماء الحب، وضع آمن لذلك القلب من خوض تجربة حقيقية في

الحب والزواج، قد تنجح وقد تفشل، لكنه وضع أبعد من أن يكون عن الأمان النفسي والعاطفي والإنساني حتى، إن أي تجربة ناجحة كانت أم فاشلة، هي تجربة تضيف للإنسان شيئًا، حتى وإن أضافت له ألمًا، لكنها حقيقة يتعلم منها كيف يخوض تجاربه الأخرى، وهو أكثر قوة وأقدر على التصرف بحكمة.

كان بخيلًا، بخل عليها حتى بمصارحته بحقيقة مشاعره، ربما كان عليه أن يخبرها أنه يحبها، أو أنه لا يهتم حتى، كي لا تفسر اهتمامه حبًا، كما تفهم الفتيات بأن الاهتمام حب، كان جبانا فلم يمنحها الفرصة، ويبتعد فتخوض تجربة تنال حظها فيها من الألم، وربما السعادة، وربما الحكمة، وربما مزيج من الألم والسعادة والحكمة، لكنه لم يفعل، وهي لم تنتبه ومضت السنين، وربما ضاعت بجواره أجمل سنوات عمرها ولم تنتبه، ربما كان عزاؤها الوحيد أنها تنجح في دراستها، وتواصل نجاحاتها في مجال عملها، لكن هل هذا يكفي؟ هل هي سعيدة حقًا وهي عالقة معه في تلك القصة؟ لو كان حبًا أكيدًا، لكان يستحق أن تنتظره عمرًا، لكن هذا ليس بحب، الحب أمان بصورة كبيرة، وهي لم تعد تشعر بالأمان معه، الحب صدق، الحب أمل، وسعادة حقيقية، لا وهم، وفي لحظة تسائل صديقاتها مضى شريط مواقفها معه، فاسترجعت كلماته وتصرفاته، كل تلك السنين

الضائعة، في حين أمعنت النظر لكل ما سبق، أدركت أنه لم يكن يحبها، وأن إعجابها به جعلها تفسر كل شيء حبًا، وتضع له تبريرا، وتسامح وتمنح، حتى اعتاد هو على تلك الصورة من الحب والعطاء، سمحت له بتسميتها صديقة، وهي تنتظر منه أن يخبرها يومًا أنها حبيبة، كان تنازلا منها أن قبلت بالصداقة، فمنحته من وقتها، واهتمامها، ومساندتها، ما يمنحه الأصدقاء لأصدقائهم، وضع مريح له، اهتمام ومساندة فتاة متعلقة به، وإن لم تبح فهذا أفضل، فلو باحت بحقيقة مشاعرها؛ سيتحتم عليه أن يضع حدًا لهذا الشعور، وستقع على عاتقه المزيد من المسئوليات، وسيكون سندًا لها، بدلًا من أن تكون هي سندًا له، فسألت نفسها: أي جنون هذا الذي سيجعلني أطالبه بإبداء مشاعره وصوغها في صورة طلب الزواج وما يترتب عليه من مسؤوليات وتبعات؟! كيف لم أنتبه لكل هذا، كيف لم أنتبه؟ وأنا أعلم جيدا أنانيته مع إخوته ووالده، وكل تلك المسؤوليات التي يتخلى عنها محملا إياها لمن لا قدرة له عليها، سواء لأب مسن أو أخت لديها ما لديها من المسؤوليات، وعادت لتتساءل بينها وبين نفسها مجددًا هل هذا الشخص يستحق حبي؟! هل هو إنسان مستأمن على نفسي؟ يبدو أن سؤال صديقاتها لم يجعل مشاعرها فقط ترتطم بصخره الواقع، بل يبدو وكأن رأسها قد

ارتطم بشيء ما، فعاد لها وعيها وحكمتها...

نفضت رأسها، وكأنها تتخلص من شيء عالق بذهنها، وأكملت حديثها معهن، لا، لم يخبرني بشيء، وسعادتي تلك لا علاقة له بها، ومن الآن فصاعدًا لم تعد لسعادتي علاقة به أو بأي شيء يخصه، أنا محلقة لأنني تخلصت من قيود مشاعر أخذت أكثر مما ينبغي من عمري، أنا أطير سعادة لأن روحي أصبحت حرة، وقلبي بدأ يتنفس من جديد، تركتهم وقد أخذت على نفسها عهدًا؛ أن تعود للحياة من جديد، وأن لا تجعل أحدهم كائنا من كان شمسا تدور في فلكه، استندت على حلمها جيدًا؛ لكي تواصل سيرها، وابتسمت لأنها فعلت شيئا من أجل حلمها، وأن تلك السنوات لم تمضِ عبثًا، حمدت ربها أن ذلك الشخص لم يخبرها يومًا بحبه، وأنها حرة الآن، وذهبت لتصلي، وقد أحست بشعور جميل، فاق جماله أي شعور قد تشعر به، وقفت تصلي وهي تشعر أن قلبها خالٍ من حبه ومن أي حب، كانت تصلي وتستشعر الآيات وكأنها تسمعها بقلبها لا بأُذنها، شعور خلو القلب، شعور لا يكافئه شعور، سجدت لله شكرًا أن أبدل حالها لأفضل حال، مضى ذلك اليوم وقد منحها سكينة، وبداية جديدة، وأملا وحبا لنفسها، فاستعادت أمانها وسكينتها بعد أن مضت أعوام من عمرها دونهما...

لحظة يقظة .

فن التسكع

كان لي صديق يثير شفقتي وقلقي عليه، كنا زملاء منذ المدرسة، كان جديا أكثر مما ينبغي، يمكنكم اعتباره جرس المدرسة، فقبل أن يدق ذلك الجرس يكون متواجدا في فناءها، يقف الأول في الطابور، الأول في الفصل، لا يتأخر في أي شيء، لا يلهو مثل باقي التلاميذ، يمارس الرياضة أثناء حصة الألعاب، لكن هذا لا يعد لهوًا، ينتهي اليوم الدراسي، فيجمع أدواته، ويضع حقيبته على ظهره، يودعنا ويذهب للمنزل من طريق واحد منذ أول يوم دراسي وحتى آخره، لا يجرب طريقا آخر، ولا طريقة أخرى للحياة، وحينما يذهب للمنزل يفعل ما يجب فعله، يبدل ملابسه، يتوضأ يصلي، يعد جدول اليوم الموالي قبل أن يتناول غدائه، يتناول الغذاء ليرتاح قليلا، ثم يجلس ليذاكر، أشك أحيانًا من التزامه بأنه كان طفل مثلنا، كان يذاكر ويراجع ويحضر الدرس الجديد، وكنت أتساءل دوما: هل تركض والدته ورائه ليتم واجباته مثلما تفعل أمي؟ أم أن والده حازم؛ فيخشى أن يثير غضبه وحزنه؟

لا أجد سببًا منطقيًا لم يفعل، ألا يعجبه أن يتأخر يومًا ويريح نفسه من طابور الصباح وتحية العلم والوقوف لمدة طويلة دون جدوى؟ ألا يتمنى أن يترك الواجب قليلًا ليشاركنا اللعب؟ ألا

يثير فضوله تجربة طريق آخر يؤدي إلى المنزل؟ ألسنا ندرس طرق مختلفة لحل المسائل؟ فلم لا نجرب طرق جديدة للذهاب والإياب؟! لم لا نجد طريقة أكثر متعة نتعلم من خلالها ونلهو ونستمتع بوقتنا؟!

أنا على عكس صديقي هذا تماما، فبوسعي تأليف كتاب في فن التسكع، أستمتع بحياتي بطريقتي، أذهب متأخراً للمدرسة، أجرب كل يوم طريق للذهاب، قد يطول أحد هذه الطرق فأتأخر، وكل يوم في مغامرة جديدة لاكتشاف جديد، اليوم أتعرف على طريق جديد، وغداً على صديق جديد، واليوم الذي يليه شعور جديد، شعور تأخر، شعور لا مبالاة، شعوري وأنا أضحك وقد قمت بمقلب بأحد الزملاء، ما أجمل تلك الحياة، قد أكتب واجبي في أي وقت، وقد لا أكتبه أصلا، وماذا سيحدث إذا لم أكتبه، أنا أنقله من الكتاب للدفتر، فهل هذا أمر سيضيف لي شيئا؟ ماذا سيحدث إن حصلت على الدرجة النهائية أو حصلت على درجة النجاح؟ بل ماذا سيحدث إن رسبت في الإمتحان؟

سأخبركم برأيي، أليست المدرسة موجودة، والمدرسين موجودين، وأنا موجود، والعمر موجود، فماذا سيحدث إن أنهيت دراستي في عامي الأول أو الثاني؟

بل ماذا سيحدث إذا لم أنهها؟

الحياة بالنسبة لي أصدقاء جدد، وخبرات وتجارب جديدة، فإذا أضاف لي التأخر في دراستي المزيد من الأصدقاء والتجارب الجديدة؛ فأهلًا بالتأخر ومرحبًا بالرسوب...

الجلوس في آخر الصف يمنحك رؤية أوضح للفصل وللتلاميذ، فمن يجلس في المقعد الأول بوسعه رؤية السبورة والمعلم فقط، أما أنا فيمكنني رؤية جدران الفصل والسبورة والمعلم وجميع التلاميذ...

وبرغم أسلوبي في الحياة الذي أنتهجه، وأسلوب صديقي المجتهد، إلا أننا تخرجنا في نفس العام في المدرسة الثانوية، وسبقته بعام في الجامعة، فقد تخرج في كلية الهندسة، بينما تخرجت في كلية التجارة.

مضت سنين الجامعة، كما مضت سنين المدرسة، بل كانت أجمل، فلم أكن مظطرًا للحضور وإضاعة وقتي في الاستماع لما هو مكتوب في الكتب والمذكرات، مضت مليئة بالأصحاب والمعارف، كان لي زملاء في الجامعة يشبهون صديقي المجتهد، أنا لا أفهمهم، ولا أعرف لماذا يضيعون أوقاتهم في الحضور وتدوين المحاضرات والمذكرات موجودة، بل لا أعلم لماذا

يهدرون أجمل سنين العمر في التدريب فى مكاتب المحاسبة، بينما بوسعهم اللعب والخروج وتمضية الوقت في شيء ممتع؟ وستأتي -شئنا أم أبينا- أيام العمل والشقاء، فلم لا نستغل هذه الأيام لنضيف لرصيدنا قليلا من السعادة والمتع، وانتهت سنوات المرح واللعب، لكن لم تنتهِ بعد رغبتي في اللعب، وكأنني كلما لهوت كلما رغبت في المزيد، وكأنك تتعود طعم ما تطعم نفسك به، وأحيانا لا تملك أن توقف ما بدأت، بل و أحيانا تدرك متأخرًا أنك أضعت وقتك وعمرك، وأنك لا تملك أحقية استعادته، فقد تخرجت في الجامعة بتقدير جيد، لكنني لم أكن أفهم ما درست جيدًا، ولم أصقل الدراسة بالتدريب والخبرة، كنت أريد العمل، ولكن الأولوية لمن لديه خبرة، لمن استغل وقت الدراسة في التدريب، ووقت الإجازة في تعلم لغة أو مهارة تفيده في العمل أو الحياة، فلو كنت منحت التعلم ساعات قليلة في اسبوعي، لوجدت فرصة أفضل، أنا لا زلت نفس الشخص الذي يهدر وقته يمنة ويسرة، وأدرك جيداً أنني فوتُّ الكثير، وأنني أريد اللحاق بالمتبقي، لكن ليس سهلا تغيير ما اعتدته، ولو أدركت أنه يضرك، أنام كل يوم وأنا أنوي أن غداً سأبدأ في تغيير عاداتي للأفضل، واستغل مهاراتي، وأبدأ لأنجح، ويأتي غد وبعد غد، وعام يليه عام، وأنا لا أتحرك، ولا أطور من نفسي، أُضيع ساعات من يومي

مع صاحب أو جار، نلهو ونتحدث ونفعل أي شيء، لكن ما تبدل بحالي هو أنني أصبحت في يقظة وإدراك، ولكن يجب أن تدفعني تلك اليقظة لعمل يبدل حالي، تذكرت صديقي الذي كان يثير شفقتي، ولكنني أيقنت أن حالي هو ما يثير الشفقة، تذكرته لأستعير منه تلك الروح اليقظة التي تسابق الوقت لتحقق ما تريد، وبدأت بالفعل أقلده، لكن بما يليق مع طبيعة المرحلة والعمل والعمر، بدأت أعيد ترتيب أوراقي وقبلها أوقاتي، أصبحت أُفكر ألف مرة قبل أن أمنح دقيقة من وقتي لأحد، فالدقيقة لها دور في استعادة ما مضى، نعم، في الحياة لا يمكننا استعادة الوقت الضائع كمباراة كرة القدم لكن أفضل طريقة هي حسن استغلال المتبقي من العمر، فأصبحت أقتص من ساعات نومي ساعة للقراءة، وقسمت يومي بين عمل مؤقت أرضى به وساعات تدريب لأطور من نفسي، وأحصل على عمل أفضل بعد فترة، نعم أصبحت ساعات اللهو واللعب قليلة جدا لكن أصبح لها طعم أجمل، فالإجازة بعد أسبوع عمل لا مثيل لها وساعة الراحة بعد يوم شاق بعشرات الساعات من الراحة التي تعقب الكسل، نعم ضاع الكثير من عمري ولكن تعلمت الكثير، تعلمت أن الدقيقة هي أغلى ما نملكه وإن بدت صغيرة فلم أضيع أي دقائق بعد ذلك أبدا.

لحظة تدبر

أختي تحب!

تجاوزت كثيرًا ككثير من الرجال، لم يلمني أبي يومًا على كثرة صداقاتي مع البنات، بل كنت أرى في عينيه فخرًا ورضا عن حالي، أصدقائي معظمهم يتنافسون في الحديث عن صداقاتهم بالفتيات وتجاوزاتهم، لم أذكر يوما أن دار نقاش مع أحد أصدقائي وعاتبني أو لامني على سوء فعلي؛ لأن أفعالنا كانت تتشابه كثيرًا. مضت سنوات الجامعة وما تليها على هذا النحو، وبالرغم من تجاوزي، إلا أني كنت أخاف على أختي وأحرص عليها، كنت أراها نعم الفتاة، رباها أبي وأمي أفضل تربية، فلا تسمع لها صوتًا، ولا تفعل ما يغضب الله، لم أرها يومًا إلا نعم الفتاة، لكن بدأت أختي تكبر، وتتغير ملامح الطفلة البريئة لفتاة ناضجة، أصبحت في الثانوية العامة، بدأت تذهب للدروس وتختلط بالأولاد، بدأت أسمع في أحاديثها مع أمي: فلان قال وفلان فعل، كبرت طفلتي، نعم، هي أختي؛ لكنها أختي الصغيرة التي يشبه شعوري تجاهها شعور الأب بابنته، كبرت الطفلة، وأصبحت أخاف عليها، بدأت تهتم بملابسها وزينتها، دخلت الجامعة، وأصبح لها زملاء، فجاءت ذات يوم تحكي لأُمي عن زميلها الذي يحبها، أختي تحبُّ!! شعرت بوخزة في صدري، ترى من تحبه هذا يشبهني؟ أم يشبهها؟؟ شعرت بغيرة، قلق،

وخوف، ولم أكن سعيدًا، بدأت أتذكر أفعالي، بل جرائمي، مر شريطٌ كامل أمامي، تُرى هل أمسك ذلك الحبيب يد أختي؟ ترى هل خرجت معه؟ تُرى إلى أي حدٍّ وصلت قصتهم؟ تذكرت تلك القصة، قصة البائع الذي تجاوز حدوده مع إحدى زبوناته، فتجاوز السقا وتجرأ على أهل بيته (دقة بدقة ولو زدت لزاد السقا) وازداد خوفي، بل ورعبي على أختي، وجدت نفسي أبكي وأعتذر وأستغفر، وأخذت أناجي ربي، وأقول له لا يارب، لا تعاقبها بذنبي يارب، أحفظها يارب، تعديت كثيرًا على حقوق غيري، وتجاوزت أكثر مما ينبغي، ولم يعاتبني أحد يومًا، ولكنني اليوم أتوب من أجل أختي، فسامحني على ما كان، وأحفظها من كل سوء.

لحظة صدق مع النفس...

تحيى

استسلمت لليأس بعد محاولات عديدة للحياة، وكأي إنسان يائس ناقم فاقد لرغبته في الحياة؛ أكملت حياتي، فكان صباحي مسائي، بل كل نهار ليل موحش، ربما لو كانت قصة عابرة لمررتها وأكملت حياتي، لكنها سنين من عمري معها طفولتنا وشبابنا، تسرب حبها لقلبي من العشرة، وامتزجت الذكريات والمواقف والمشاعر، فكنا أنا وهي حبيبين لا يمكن أن يفترقا، جمعتنا صداقة عائلية، فكانت اللقاءات متكررة، نشأنا سويا، وأحببتها وأحبتني قبل أن نعي الحب، بل ربما أدركنا معنى الحب بعد أن أحببنا، ووجد كلٌ منا نفسه لدى الآخر، ثم حين تأكدنا من ذلك الشعور أنه ليس شعورًا عابرًا صادفنا ثم مضى، قررنا أن نتوج هذا الحب بالزواج، ولم أحسب حساباتي لما قد يعيق ذلك الزواج، أحبها وتحبني، وعائلتينا أصدقاء، ولكن حين تقدمت لخطبتها اكتشفت أنني غير مناسب، وربما هناك من هو أفضل مني؛ فتم رفضي واسودت الحياة في وجهي.

وأرسلت تخبرني أنها لن تتزوج من غيري، و أن أنتظر قليلًا وأعيد المحاولة، ربما سيوافقون، وبالفعل فعلت مثلما قالت لي، وتقدمت مرة واثنتين وثلاثة، ولم أجد سوى الرفض، فاستسلمت للأمر الواقع، وتمنيت لها السعادة، ومضيت كمن فقد روحه

وعقله، ولكن كنت أكمل الحياة على أمل أن يتغير شيء، وتُرد لي روحي التي سلبت مني، ومضت الأيام ولا أدري كيف مضت، فكنت أتمنى الموت، فحياتي لم تعد حياة بعد أن فارقتها، وعدت لأعمل بمجهود مضاعف وساعات عمل أكثر لعلي أنسى وأتعايش، لكنني كنت أتناسى، حتى جاءت هي؛ عفاف زميلة جديد في العمل، وبدأنا نتبادل أطراف الحديث: عن أسماءنا، وأعمارنا، وغيرها، وبدأ يتسلَّل الود بيننا.

فهي فتاة جميلة رقيقة، وكانت تهتم لأمري حين أنسى أنا، وبرغم أني لم أنسَ حبيبتي يومًا؛ إلا أنني كنت يائسًا فاقدًا للأمل، بعد محاولات فاشلة في استرضاء أهل حبيبتي، فقرَّرت أن أرضى، وأبدأ صفحة جديدة في حياتي، ولا أدري هل بوسع عفاف أن تنسيني حبيبتي؟ بل هل بوسع أجمل نساء الأرض أن تفعل؟! وأنا على يقين أنه لن يتمكن أحد أن يأخذ مكانها في قلبي، وقبل أن أفرغ قلبي منها قررت أن أضع فيه أخرى، و أنا أعلم أنه لها، ولو عادت لتطلبه لعدت وأخرجت منه غيرها، ولأنني صادق مع نفسي ولا أحب الكذب أبدًا؛ قررت أن أصارح عفاف برغبتي في الزواج منها، لكن هناك أمرا يجب أن تعلمه قبل الخطبة والزواج، فأنصتَتَ للأمر، وأبدت قبولها لشرطي المجحف الظالم (أنه لو

عادت تلك الحبيبة لعدت لها)، ووافقت؛ ظنًّا منها أنها قادرة على أن تُنسيني إياها، وكنت سعيدًا بتقبلها للأمر، ولديَّ شك في قدرتها على جعلي أنسى، ولكنَّه اليأس اللعين جعلني أستمر في ظلمي تلك الفتاة المسكينة التي قرَّرت أن تكمل معي الحياة، وهي لا تتصور أنني تركت قلبي وحياتي منذ تركت حبيبتي، مضت الأيام، وبدأنا الاستعداد للخطبة، وأنا تارة أنشغل بعفاف وطيبتها واهتمامها، وتارة أتذكَّر حبيبتي، وحين أتذكَّر حبيبتي مجرد ذكرى؛ أشعر كمن عادت روحه إليه، وعاد له نبض قلبه وحياته بعد أن مات حزنًا، وجاء اليوم الموعود الذي سأخطب فيه عفاف التي كانت تطير سعادة كلما اقتربنا من هذا اليوم، وأنا أزداد قلقًا وترددًا، وفي ذلك اليوم جاءني خبر لم أكن أتوقعه ولم أكن أفهمه؛ فقد اتصل بي أهل حبيبتي، وأخبروني أنهم قبلوا أن أخطب ابنتهم، في تلك اللحظة نسيت كل شيء، عدا أن أذهب لأتمام هذا الأمر، لم أتذكر موعد خطبتي من عفاف، ولم أتصل لأعتذر، ولم أفعل شيء سوى أنني ذهبت لأستعيد حياتي التي سُلبت مني، وبالفعل استعدتها...

وفي اليوم التالي، ذهبت للعمل لأزف عفاف بالخبر، وأخبرها لماذا لم آتي لخطبتها؛ لكن الخبر لم يكن سهلًا عليها وانهارت، أعلم أن ما فعلته كان قاسيًا وظالمًا، لكن أليس من

القسوة أن أحيا معها وقلبي مع أخرى، أن لا أراها وأنا أتحدث معها، أن أسمع صوت حبيبتي وأذكر كلماتنا، ولا أكاد أرى صوتها أو ما تفعله لأجلي، وأكمل معها حياتي بالمتبقي من قلبي، ألا تستحق عفاف من يحبها ويراها بعينه ويشعر بها بقلبه، لا من يعيرها جزءا منه وهو منشغل بغيرها عنها؟؟ ربما ظلمتها لأشهر، لكنها كانت تعلم، وكانت ثقتها بنفسها أكثر من اللازم، فظنت أنها قادرة على جعلي أنسى حب حياتي، بل حياتي نفسها، فلا معنى لحياتي دونها، كنت صادقًا معها، وصادقًا مع نفسي، وهذا يجعلني راضيًا عن نفسي قليلًا وعن هذه النهاية العادلة.

كنت شاهدة على تلك القصة دون سعي مني لذلك، فقد كنت زميلة عفاف تلك الفتاة الجميلة، التي نقلت لأحد الأقسام في شركتنا حديثًا، ولم تكن في نفس القسم معي، ولكن كنا قد تعارفنا في طريق عودتنا للمنزل، واكتشفنا أننا زميلات في نفس الشركة، وكنا نذهب لتناول الإفطار سويًا ونتبادل الحديث، وبدأت تحكي لي عن يحيى زميلها في نفس القسم، كنت أعرفه، لكن لم يحدث بيننا تعاون في عمل لأعرفه جيدًا، حكت لي شعورها تجاهه ورغبته في الزواج منها، وكانت سعيدة تسألني ماذا أرتدي؟ ماذا أفعل؟ ماذا أقول؟ وكنت سعيدة لأجلها فهي

فتاة جميلة طيبة خلوقة، ويحبها كل من يتعامل معها ويعرفها، وكنت أشاركها استعدادها لليوم الذي يأتي لمنزلهم لخطبتها، كنت أنا أيضا سعيدة أترقب ذلك اليوم، ولكن في ذلك اليوم بينما هي تترقب قدومه لم يأتِ، انتظرتْ وانتظرتْ قلقة وهي لا تفهم ماذا أصابه، وجاء اليوم التالي، فعرفنا جميعًا بالخبر، كانت منهارة ولم أكن أفهم السبب!

هل أصابه مكروه؟؟ هل رفض أهلها؟ ثم عرفتُ السبب، وكان صادمًا بالنسبة لي حتى كرهته، كيف يمكنه إيذاءها بتلك الصورة؟ كيف سمح لنفسه أن يمنحها أملًا ثم يسلبها إياه؟! ما الذي جعله يبدأ قصة قبل أن ينهي أخرى؟

تساؤلات كثيرة دارت في ذهني وأثارت غضبي، فذهبت لأسأله، بل لأعنفه على فعلته، حتى فاجئني برده أنها تعلم أنني أحب غيرها، وأنها لو عادت لي لتركتها، أعلم أنني كنت قاس معها لكنها قبلت بشرطي، ولكنها لم تحتمل النتيجة، وعدت لأسأل عفاف هل أخبرك فعلا عن قصة حبه؟؟ هل وافقت على شرطه (أن يعود لها لو عادت)؟ فتعجبت من النتيجة أنها فعلا وافقت ظنًا منها أنها قصة وانتهت، وأنها قادرة على جعله ينساها.

مضت الأيام واشتركنا أنا ويحيى في عمل في شركتنا نفسها،

فعرفته عن قرب، كان طفلًا كبيرًا، وكنت أشعر أنه أخي الأصغر، بالرغم من أنه يكبرني بسنوات، كان كالطفل يضحك ويبتسم للحياة، كان وقتها قد تزوج حبيبته الأولى، وقص لي القصة كاملة من أولها، وماذا كانت تعني له، كان صادقًا في وصفه، أخبرني عن يأسه حينما رُفض أكثر من مرة، وكان يجب عليه أن يكمل حياته مع أخرى، وأنه برغم محاولاته ومحاولات تلك الأخرى لجعله ينسى لم ينسى، وظل مع حبيبته وصديقته وتوأم روحه، وأنه كان يشعر أنه يظلم عفاف باستمراره معها، وأنها تستحق من يحبها، وأن أهل حبيبته حين عرفوا بأنه سيخطب أخرى؛ شعروا أنه سيضيع من يديهم فتمسكوا به، وأرسلوا له ليتمموا الخطبة! فتحولت من غضبي منه وتعجبي من تصرفه لألتمس العذر له، واحترام صدقه معها ومع نفسه، ربما تألمت قليلًا، لكن لا ألم كاستمرار أحدهم معك وهو لا يعرف قدرك ويحبك كما ينبغي.

أنا عفاف الحبيبة الاحتياطية، المحطة المؤقتة في حياة يحيى، ذلك الطفل الكبير، الشخص الذي لا خيار لك إلا أن تحبه إذا عرفته، الشخص الذي ظلمني وكان رحيمًا معي في نفس الوقت، كنت قد تعرفت عليه من خلال العمل وأحببته، وكنت أظنه يبادلني نفس الشعور، لكنني بالرغم من اهتمامه بي، فكنت

أشعر أن ما يفعله هو رد فعل لما أفعله، فأحيانا كنت أتحدث معه وأشعر أنه لا يراني، وكأنه يجيب على حديث آخر قاله شخص أخر غيري، لكنه كان يريد أن يُعجِّل بالخطبة والزواج، فظننت أن تلك وسيلته في التعبير عن حبه، حتى قال لي شرطه ففهمت، لكنني كنت أحبه، وأظنني قادرة على أن أنسيه الماضي، ولم أكن أتوقع أن يأتي الماضي ليمحي أثري وكأنني لم أكن، كانت الصدمة كبيرة، تألمت كثيرًا، لكن ما خفف عني الألم وجعلني أتجاوز هذا هو صدقه معي، وأنه أخبرني بأمر حبيبته الأولى، وحين مضت الأيام ومضت معها تلك المشاعر، دعوت له من كل قلبي بالسعادة، نعم، كنت أحبه لكنني أستحق من يحبني، ويعرف قدري، ربما لو أكملت معه لكانت النهاية أكثر سوءً...

أي شخص معرَّض لما حدث معه؛ أن يفقد حبيبته ويبحث عن السعادة مع غيرها، ولكنه لم يستطع أن يكمل، وكان صادقًا، وأنهى قصتنا قبل أن تبدأ، وعاد لها وعادت الحياة لقلبه، ما جعلني أغفر هو ثقتي بعدالة ربي، وأنه سيمنحني من يحبني، لا من يريد بي نسيان أخرى، وهذا ما كافأتني به السنوات التالية لقصتي مع يحيى، فنسيت وسامحت وبدأت من جديد، وأُذن لي بالسعادة؛ فعاد لقلبي الأمل.

لحظة محاسبة

امرأتي ومرآتي..

أقف أمام مرآة غرفتي أنا وزوجتي أنظر لنفسي، بينما هي ظاهرة في الصورة خلفي معي في نفس المرآة أتأملها، ثم أعود بنظري لنفسي، وكأنها لا تشاركني صورتي في المرآة، علاقتي بالمرآة علاقة وطيدة، أُقابلها صباحا، أقف أمامها كثيرا، أتأكد أن مظهري مناسب لوظيفتي، فوظيفتي تفرض علي الاهتمام بمظهري؛ لذا أهتم بي وأنساها، كنت أهتم بممارسة الرياضة لأحافظ على قوامي وأناقتي، وبينما أنا أنساها تهتم هي بي، أنا لست زوجها أنا ابنها، تهتم بكي ملابسي، ونظافتها، ومناسبتها ليوم عملي، تهتم بتفاصيل حياتي، حتى أنها أحيانا كثيرة تأخذ المشط لتقوم بتسريح شعري، والاطمئنان على مظهري كاملًا، أتعجب كيف تجد وقتًا للاهتمام بي بهذه الدقة، رغم انشغالها بعملها وأولادها، وبرغم أنها كانت دائمة العناية بي، إلا أنها أخطأت في حقي وحقها، لا ألقي اللوم عليها، لكنها المخطئة؛ هي من غذَّت الأنا لديَّ، حتى تضخمت وأصبحت وحشا يلتهمها ويلتهمني ويلتهم علاقتنا الجميلة وحبنا وعشرتنا، كأي إنسان يسعدني الاهتمام، وككثير من الرجال أنا أناني، وهي ككثير من النساء حين تحب تعطي بسخاء، تعطي وقتها واهتمامها وعمرها لمن تحب دون حساب ودون انتباه، هل أفعل مثلما

تفعل؟؟ هل أهتم؟ هل أضحي؟ إنها مخطأة، ولم تكن تزن علاقتنا لتطمئن على توازنها، كما كانت تزن كل شيء في حياتي لتطمئن على جودته، هي أحبَّتني وأعطتني عمرها، ولكنها بعطائها الزائد هذا هدمت علاقتنا، ربما قامت ببناء موظف ناجح في عمله مهتم بمظهره، وأبناء يفخر بي كل من يراهم، لكنها لم تكن مرآتي في محاسبتي وتقصيري معها، كما كانت مرآتي في الاهتمام بمظهري ونجاحي، ونحن نشتري خضراوات أو فاكهة نقوم بوزنها لنتأكد من أننا لم نظلم ولم نُظلم، لكننا وآسفاه لا نفعل في علاقاتنا ما يفعله التجار، نخشى على أنفسنا من الظلم في جنيهات، وننسى أن ظلم المشاعر أكبر، فلو مرَّت السنون ونتج عن مرورها ظلم مادي بوسعك أن تعيده ولو بعد سنوات، أو أن تتصدق به، أما ظلم المشاعر فكيف لنا أن نعيد لمن ظلمناهم سنين عمرهم، واهتمامهم الذي أخذناه ظلمًا، كيف لنا أن نعيد لهم أملهم في الحياة والناس والحب!!

مضت سنين عمرنا سويًا، وهي تهتم وتغذي وحش الأنا فيَّ وأنا سعيد، وكذلك هي؛ كانت سعيدة وراضية كما يبدو، والبيت هادئ والأبناء يرون تلك الصورة ويتعودون عليها، حتى حدث ما هدم تلك الصورة أو أعاد تصحيحها، في عشاء عمل، وعلى غير

العادة، كان يجب أن تشاركني زوجتي العشاء، ولأول مرة أهتم بمظهرها، الحقيقة أني لم أكن أهتم لأجلها كما كانت تفعل دومًا، لكن كنت أهتم لأجلي، ولو كانت مع أبنائها أو في زيارة عائلية لم أكن لأهتم، شعرت بنظرات التعجب والتساؤل منها، وفي هذه المرة كنا نقف في المرآة أنا وهي، وينظر كلٌّ منا للآخر عبر المرآة، ولأول مرة أهتم وأنتبه وأشعر بحجم الفجوة التي صارت بيننا، فقد كانت تضحي لأجلي، فاعتدت هذا ونسيتها، وأنا الآن ألومها بنظرتي وأنها لا تليق بي، كيف فعلت هذا؟ بل كيف فعلت هي هذا؟! لماذا لم توقفني وتطالب بحقها في الاهتمام؟ لماذا لم أتوقف أنا وأحاسب نفسي وأتساءل هل هي سعيدة؟ هل ينقصها شيء؟ منذ تزوجنا وأنجبنا طفلنا الأول؛ وبالغت هي في اهتمامها بي؛ لأنها تخشى أن أشعر بانشغالها بالأبناء عني، فكان وقتها مقسم بينهم وبيني وبين عملها، أما هي فقد تقلص وقتها الذي تمنحه لنفسها، حتى نسينا أنا وأبنائها أنها ربما تحتاج بعض الوقت لنفسها، أو ربما تحتاج اهتماما كما تفعل من سؤال أو احتياجات مادية أو معنوية، كيف كنا نقف يوميًا في تلك المرآة، ولم أكن أنتبه للتغير الذي يحدث لها؟ ربما كان كل تركيزي وتركيزها أنا، لم أكن ظالمًا أو أنانيًا يوما، لكننا حين نعتاد صورة

معينة للتعامل نتغير وننسى، بوسعك تحويل إنسان سوي لآخر أناني؛ إذا عودته أن تعطيه دومًا ولا تنتظر منه عطاء، ولا تذكره بأن يعطي كما يأخذ، وسيتحول بفعل الوقت والعادة لأناني، جميعنا حين نحب ننسى أنفسنا، ونعطي دون انتظار المقابل، ولو كان من نحب يعطي لنا، فستتوازن العلاقة، ويسعد طرفيها وتستمر، لكننا لم نتوقف لنرمم علاقتنا، ولم نسأل أنفسنا، أخطأت هي بعطائها الزائد، وأخطأت أنا بتقصيري في حقها وحق نفسي، ولم أحاسبها، إذ رضيت لنفسي كل هذا الظلم، لكن سأستغفر ربي وأتوب عن ذنبي في إهمالي لزوجتي، عسى أن أعوضها عما مضى.

لحظة افتقاد

صورة مع زوجي!

أعدت مشاهدة ألبوم صوري أكثر من مرة، وكأني أقيِّم حياتي ومشاهدها من خلال تلك الصور، أبحث عني فيها وأبحث عنه، جمعتنا الصور منذ الصغر، وقبل أن نعرف أن القدر سيجمعنا لنتشارك الحياة، زميل دراسة قديم، كنا أطفالا نتشارك اللعب، وجمعتنا أكثر من صورة ونحن نلعب، وأخرى في حفل تخرجنا من المدرسة، ثم مضت السنين وفرقتنا، كنت أحبه حب الأطفال، هو ذلك الشخص الذي تتخيره لتشاركه اللعب دونًا عن باقي زملائك دون تفسير، ثم عادت لتجمعنا بعد سنوات كزملاء عمل، لكن تغيرنا كثيرًا، تغيرت ملامحنا، ولم يكن يعرفني أو أعرفه، لكن كنا نظن أن اختلافنا هذا يجعلنا مناسبين أكثر لبعض، مضت الأيام وبدأ ينمو شيء الألفية جعله يطلب يدي للزواج، سعدت كأي فتاة تسعد بالخِطبة والزواج دون دراسة وتمحيص لمدى توافقنا، لقد كنا كثيري الجدال في العمل، وكان يبدي أحيانًا أراء تزعجني، لكنني لم أفكر في هذا حين تقدم لخطبتي، وسعدت بباقي تفاصيل الخطبة، وخاتم الخطبة، الفستان، والحفلة، كل تلك التفاصيل الصغيرة التي نهتم بها جيدًا، ومضت الأيام سريعًا، وخطيبي أصبح زوجي بعد أن كان زميل عمل، ألبوم الصور كان مليئا بالصور، تلك الصور المنمقة التي نعتدل جيدا لتُأخذ لنا، تشاركنا أنا وهو الكثير من الصور الجميلة في

خطبتنا وزفافنا، لكنها لم تتكرر، مضت الأيام وكنت أنجح في عملي وأعتني به وبأبنائنا وبكل شيء، لكنني كنت أفتقد شيئا ما، كنت أستمع للإطراء من والدي ووالدتي وأخوتي، كنت أستمع للإطراء حتى من والدة زوجي، كنت محل إعجاب واحترام وثقة من المدير والزملاء، لكن كل هذا لا يُعوض ما أفتقده، تلك البسمة التي كانت تجمعنا ونحن أطفال، تلك البسمة التي لم يكن يجبرنا أحد عليها لتصبح الصورة جميلة، كنا نبتسم وقتها لأننا سعداء حقًا، سعداء لأننا نتشارك اللعب، أفتقد إطرائه ومدحه لي، فكل كلمات المدح من زملائي و مديري لا تساوي شيئا بجوار كلمة إطراء أو حتى نظرة رضا وسعادة ممن تخيرته ليشاركني الحياة، كان كثيرًا ما يتعمد التقليل من شأني، ومن شأن ما أفعله في أسرتنا، أو حتى في عملي، لم أكن أعرف سر عدم رضاه، حتى سمعته ينصح أخوه قبل زواجه: إياك أن تبدي رضاك عن زوجتك حتى لا ترضى عن نفسها، دعها هكذا تشعر بالتقصير لتفعل المزيد وهي تحاول إرضائك، لم أتدخل في حديثهم، ولكنه آلمني، مضيت لألبوم الصور، أبحث عن صورة تجمعنا، أرى فيها تلك النظرة التي أفتقدها، ولكنني لم أجدها سوى في صورنا القديمة صور الطفولة، فأخرجتها من الألبوم، ووضعتها أمامه لعله يتذكر تلك الصورة الجميلة، ويعيد تلك الأيام الجميلة بنظرتها وسعادتها.

لحظة فراغ

سقوط عابر

سقطت رغمًا عني فيه، لم أكن أتوقع أنَّ بوسع أحد أن يسقطني يومًا ما، أو أسمح لنفسي بالسقوط، لكنني سقطت، لم أكن أعلم أني على حافة الهاوية، بالعكس فقد كنت نموذجا ومثالا يُحتذى به، كنت قدوة لكل من يعرفني، كان الجميع يأخذ بمشورتي ورأيي، كان وقتي لا يخلو من دقيقة خير لأسرتي أو لأي من يطلب عوني، لم أكن أعلم أنني يومًا ما قد أعاني مما أعاني منه الآن، لكن ما أنا فيه كان نتيجة لما كنت فيه، لقد كنت أشغل وقتي جيدًا بين عملي وأسرتي، لم يكن هناك مكان للتفكير في المستقبل، إلا عن طريق التفكير في الأمان المادي الذي أأمن به حياتي وحياة أبنائي (كنت أأمن مستقبلهم بالعمل وجمع المال الحلال)، هذا ليس كل شيء، ولكني كنت أظنه كذلك، كنت أنشغل عنهم بهم، فمرت السنون وكبر أبنائي، وأمنت مستقبلهم كما كنت أرى، ولكن كبرت أيضًا المسافة بيني وبينهم، لم يكن لي أصدقاء أو هوايات أو شيء يشغلني عنهم وعن عملي، وكان هذا مثاليا من وجهة نظر الناس، لكنه لم يكن صوابًا كما أخبرتني الأيام وأخبرتني به تجربتي القاسية، لم أكن أضيع دقيقة من وقتي بقراءة كتاب، أو بنزهة مع صديق، أو بساعة حتى أجلس فيها على القهوة ألعب الطاولة، أو أحتسي كوب شاي، كان كل يومي

ووقتي لأسرتي وعملي، كنت أرى أنني أب مثالي، وأنني أضحي من أجل أبنائي، وأنهم حين يكبرون سيفهمون ما أفعله من أجلهم، وسيكونون أبناء بارين بي وقت حاجتي لوجودهم، هذا ما يجب أن يحدث كنتيجة لما فعلته من أجلهم، لكن حدث ما لم أكن أتوقعه كما أخبرتكم سلفا؛ أنني سقطت، لم أسقط في ذنب كبير كما قد يظن البعض، لكنني سقطت فيما قد يسقطني في أي ذنب كبير أو صغير، كما أخبرتكم فعملي كان حياتي هو وأسرتي، ولكنني لم أجهز نفسي للحظة لا يكون لعملي أو لأسرتي مكان، ولم أستعد للحظة لأنهي فيها مسؤولياتي تجاه أسرتي وعملي، وتأتي مسؤوليتي تجاه نفسي، ما حدث أنني أنهيت مهمتي في عملي، ولم يعد لي مسؤولية تجاهه، كل تلك الساعات التي أقضيها في عملي أصبحت فراغا، أبنائي أصبح لكل منهم حياته، وحتى زوجتي لها صداقات وهوايات تشغلها، فلم أجدني مع كل هذا، وجدت نفسي وحيدًا، أعاني من الوقت، لا أعرف كيف أقتل الفراغ، أعاني من صدمة الاستمارة التي أعطتها لي الحياة كلها، ليس فقط عملي، فقد أعطاني الجميع تلك الاستمارة، أبنائي الذين انشغلت بهم عنهم، زوجتي التي لم نكن نتحدث كفاية، فأصبحنا متجاورين في السكن، لكننا متباعدين جدًا في كل شيء،

ربي وعلاقتي به أيضًا، فلم أكن أعلم أنه لابد أن أبني علاقة معه، وأستعد لمثل هذه اللحظة، كنت أظن أنني حين أكبر وأنهي مسؤوليتي تجاه عملي؛ سيبقى لدي فراغ لأتعبد، كنت أظن أنه بوسعي أن أفعل هذا بسهولة، أنهي عملي، أتوضأ وأصلي، ويتوجه قلبي للصلاة، وتقوى علاقتي بربي، ولم أكن أعلم أنه كان يتوجب عليَّ أن أجهز لهذا من قبل، كنت أظن الأمر كزر، أظغط عليه فيعمل، فتتوطد علاقتي بربي، كنت أظن أنني قد أعاني من آلام في مفاصلي، فلا أقوى على الصلاة، لكن لم أعلم أنه حتى مفاصل قلبي كانت تحتاج للتدريب، حتى علاقتي بنفسي كنت مقصرًا في حقها، كنت أحيا لأجلهم وكنت أظن هذا كافيا، فحين أنهيت مسؤوليتي تجاههم، وجدت نفسي صفر اليدين من الأهداف والأحلام، أين أنا الآن؟ أين أريد أن أذهب؟ ولماذا أريد أن أذهب؟ أنا كإنسان بعيد عن كل شيء، بل إنني تحيرت قليلًا وتساءلت من أنا؟ هل أنا هو ذلك الأب الذي يعتني ويُنفق ويُوجه؟ أم أنا الزوج؟ أم أنا العامل الذي يجب أن أقوم بعملي على أكمل وجه؟

هل يجب أن يكون لي تعريف آخر غير كل هذا؟

فأنا العامل، الذي قام بعمله على أكمل وجه، فلم يعد لديه

عمل، أنا الأب الذي أصبح أبنائه آباء، فلم يعودوا بحاجة لعنايتي أو نفقتي أو توجيهي....

أنا الزوج ليس كل شيء ولا يشغل كل فراغ يومي، وحتى زوجتي لديها حياة أخرى تشغلها عني..

من أنا وأين أنا وإلى أين ذاهب؟

سؤال كان يجب أن أسأله لنفسي من بداية حياتي، لكنني لم أفعل، ربما لم يكن لديَّ وقت لأفعل، لكنني حتى الآن لم أفكر كثيرًا، كان كل همي أن أخرج مما أنا فيه بأي وسيلة، أنا أبحث عن نفسي ولا أجدها، فكان علي البحث عن نفسي، أنا الآمر الناهي، ولم يعد لي صوت، أنا على قيد الحياة، لكن الموت أفضل مما أنا فيه بكثير، أصبحت أشغل وقتي دون خطة محكمة، كنت أرميه يمنة ويسرا على جانبي طريق الحياة، أفتح التلفاز لأقتل الوقت أشاهد أي شيء وكل شيء، فأنا كما أخبرتكم سلفًا، لم يكن لي هوايات أو اهتمامات، ليس لدي فريق كرة معين لأشجعه، فأصبحت أشجع اللعبة الحلوة، أشاهد أي شيء وكل شيء، أحاول أن أنفعل مع أي خبر ومع أي مشكلة ومع أي إحساس، المهم أن أقتل الفراغ، ولكن لا زال الفراغ يقتلني كل لحظة، ولا أعرف كيف أرد له الصاع صاعين، كنت أذهب لشراء

احتياجات المنزل، ولكن بطريقة أتحايل بها على الفراغ، كنت أذهب عشرات المرات لشراء حاجات يمكنني شراءها مرة واحدة، كنت أحاول أن أتسكع لأقتل الوقت، كنت أضع سيارتي أمام المنزل وأذهب راكبًا فأتحدث مع هذا وذاك وهذه وتلك، كل ما كنت أريده أن أسمع صوتي وأنا أتكلم، وأشعر أنني مازلت حيا ولي صوت يُسمع، كنت أتحدث مع النساء اللاتي كنت أغض البصر عنهن، وأسعد بإطرائهن والحديث معهن، لا أقصد خيانة زوجتي بهذا، كل ما كنت أريده شيء أجد نفسي فيه، يشعرني بأنه لا يزال لي وجود في أي شيء، حتى وإن كان لا يعنيني، أو يسيء لي أو لأحبتي، أنني أفعل هذا في حالة بين الوعي واللاوعي، أشعر أنني أقتل الفراغ، لكنه لا زال يقتلني، فأعاود البحث عن نفسي ولا أجدني، أفتش في الدروب عن صديق أتبادل معه أطراف الحديث ولا أجد صديقًا يشبهني فأضل الطريق، وأرضى بأصدقاء لا يشبهونني، ولا أجد نفسي معهم، بل قد أضيعها أكثر وأنا معهم، لكن لا بأس، فالمهم أن أجد من يشاركني الحديث، من يسمعني.

القصة ليست فيما أقول وأهميته، فمجرد الحديث وسماع صوتي أشعر بارتياح، وأشعر أنني لازلت على قيد الحياة، لكنني أحيانا أخرى أفتعل الأسباب للعراك مع المارة، مع زوجتي، مع

أي أحد؛ فافتِعال العراك والصياح يسعدني قليلًا، يجعلني أسمع صوتي الذي لم يعد يسمع كسابق عهدي، لكن بيني وبين نفسي، أعلم أن كل هذا لا يُعوض شعوري بافتقاد ما كنت أحيا من أجله، لقد كنت أفعل خيرًا كثيرًا لأجل أشخاص كثيرين، لكن برغم هذا لم أجدهم، هل كان عليَّ أن أجد سببًا لما أفعل؟

أم كان عليَّ أن أجد بديلًا له؟ هل المشكلة في الفراغ نفسه؟ أم المشكلة في تعاملي معه ومع نفسي؟ لو كنت اهتممت لأمري في الصغر، فهل سيكون فراغي أقل حمقًا وطيشًا؟ ولو كانت علاقتي بزوجتي وأبنائي أقوى فهل سأتجاوز ما أنا فيه؟

لقد كنت أفعل كل ما أفعل من أجلهم لأني أحبهم.

هل لو كانت علاقتي بربي أفضل لكنت أقوى على تجاوز أي صعاب؟

نعم كل ما سبق

ربي

نفسي

زوجتي

أبنائي

لو كنت أعطيتهم حقهم من وقتي واهتمامي؛ لتغير كل

شيء، لكن البكاء لن يعيد إصلاح ما كُسر، والفراغ لايزال حاضرًا، ولكنني تسلحت لمعركتي معه بالوعي هذه المرة، وقررت أن أجعل القادم مختلفا، وإن كنت بدأت رحلة حياتي وعملي دون هدف فسقطت في هاوية الفراغ، إلا أنني قررت ألا تكون النهاية كالبداية، بل سأبحث عما أحيا من أجله، فسأطرق باب ربي، وسيفتح لي، فحاشاه أن يرد من لجأ له، وإن كان متأخرًا أو مقصرًا، هو يفتح بابه دومًا، لكننا لا نحسن اختيار طريقنا إليه، سأبحث عن ذكرى جميلة مع أبنائي وزوجتي؛ وأفتح بها باب أمل لأيام أكثر ودًا وقربًا، سأجد نفسي حين أبحث عنها بالأسلوب الصحيح، سأقوم من عثرتي، سأتسنَّد على نفسي لأتجاوز ما أسقطت نفسي فيه..

لحظة وفاء

جبر لكسري

خرجت من تجربة زواج فاشل محطم نفسيًا، وخرجت هي من تجربة أخرى محطمة نفسيًا ومشلولة، ولم أتعجب، بل وجدت فيها جبراً لكسري وحُطامي، وتمنيت أن أكون لها كذلك، وتأملت في رحمة الله التي لا يُبنى بها الزواج على كمال الزوجين، وإنما على تكاملهما، فرأيت فيها نصفي الآخر، ورأت فيَّ نصفها الآخر، بل ورأيت في معرفتنا لنقصنا البشري وتعاملنا معه سببًا من أسباب نجاح قصتنا، قصتنا التي مزجت بين الحب والزواج الناجح، وبين التضحية وتقدير التضحية، وحاولت أن أهيأ لها من الأسباب ما يقلل شعورها بالنقص تجاه الابتلاء الذي ابتلاها الله به، فمن السهل أن تولد عاجزًا، وتتكيف مع عجزك وترضى به، لكن الأصعب هو أن تحيا حياتك كلها، وأنت تتمتع بنعمة السير على قدميك، ثم تصاب بفقد هذه النعمة، وكانت حبيبتي ممن اختار لهم الله التجربة الأصعب، ولكنها كانت جديرة بهذا الاختبار، شاكرة لله على رغم الأسى الذي كنت أراه في عينيها، رغم نظرة عدم الثقة في الناس التي خلفتها لها الإعاقة، رغم الخوف من الطامعين فيما تملك، لكن إيمانها بالله وتقبلها لقضائه وقدره أرسلني لها، وحاولت أن أختار لها منزلا في الطابق الأرضي؛ ليسهل عليها النزول والطلوع بالكرسي المتحرك، وحاولت أن أتركها في الشارع وأنا خلفها؛ لأتركها ترى أن هناك

من سيساعدها إن لم أكن موجودًا، ورأت بعينيها أنه ما زال هناك خير في الناس، وهناك من يعين المحتاج للمعونة، ثم أعود وأشكر الناس، وأعود إلى جانبها كما تقف هي إلى جانبي، فقد كانت نعم الزوجة، ونعم ربة المنزل، ونعم الإنسانة التى يحبها كل من يعرفها، لم أشعر معها أنه ينقصني شيء، أحمد الله دومًا لفضله عليَّ في هذه الزوجة الصالحة التي عوضني بها عن تجربتي الأولى، وأحمده على الذرية الصالحة التي أنعم بها عليَّ من تلك الزوجة الصالحة، ولا تتعجبوا فكما أخبرتكم: إن الزواج يقوم على تكامل الزوجين وليس على كمالهما، وإن معرفة الإنسان لنقاط ضعفه ونقصه واعترافه بها؛ تزيد من فرصته في النجاح، ولم أكتب لكم قصتي لأخبركم أنني كنت سببًا في جعل حبيبتي لا تشعر بالعجز، وكأنها لم تعد تحتاج الكرسي، ولكن لأخبركم أن الحب الصادق الحقيقي هو الذي يجبر كسورنا ويعيق عجزنا، بل ويحوِّل العجز والضعف والنقص إلى نقاط تحدٍ و إصرار على النجاح، وبالمثل فالحب الكاذب والخوف الزائد قد يحوِّل نقاط القوة ضعفًا، ومن منا كامل؟ فكل إنسان لديه ما ينقصه، فلا تزيدوا من مواطن نقص من تحبون، بل رمموا كسورهم وكسوركم سويا...

"القصة مستوحاة من قصة حصاد الصبر
لأستاذ عبد الوهاب مطاوع."

لحظة خداع..

اعتليت المنصة وكلي أمل.

تقدمت بخطوات ثابتة، ورتبت كلماتي جيدا، وحرصت على إخلاص النية لله، وجمعت أفكاري ورتبت أولوياتي، كان كل هدفي من الصعود هو الوصول للمكان الذي يسمعني ويراني فيه الجميع، فيتخذونني قدوة، فننهض بالأمة، ونقوم بواجبنا تجاهها، وبين خطواتي تلك وإعدادي لها وحرصي على انتقاء الكلمات المؤثرة الواضحة التي تأخذنا نحو الهدف مباشرةً، صعدت للمنصة، وإذا بي أتأرجح بين مشاعر رهبة الموقف، فكنت أظن أنني أعددت نفسي لها مسبقًا، وبين مشاعر فخر وزهو بالنفس أنني الأعلى، وصوتي هو الأكثر وصولاً، ومكاني هو الأوضح صورة، وبين نيتي وهدفي اللذين جعلاني أصعد، وأتحمل تلك المسؤولية لأحقق هذا الهدف وتلك النية التي بدونها أكون قد أضعت كل شيء، وقتي وكلماتي وهدفي، وما قيمة أي شيء إذا أضللنا الهدف منه، فاستعذت بالله من شيطاني، وراجعت تلك النية، وسألت الله أن يرزقني الإخلاص، وأن يجنبني رهبة الموقف، وأن يعينني على الهدف، وأن لا يطول بي الحال على هذه المنصة التي قد تختلط بها النوايا، ويضيع بها الوقت، ونحيد عن الهدف، وسألت الله أن يعي تلك الكلمات كل من يعتلي منصة في الحياة ليعمل أو ليتكلم ليجنب نفسه الخروج عن الهدف وضياع النية من العمل.

لحظة ظلم

رحلة المقارنات !

كان كل شيء هادئًا جميلًا، وكنت راضية تمام الرضا، وكانت أصغر الأشياء تسعدني، وأبسط الكلمات ترضيني، كنت أحب كل ما أملك، ولا ألتفت لما أفتقد، زوجي وأبنائي وبيتي الصغير بأثاثه البسيط، كنت أحب كل شيء فيه رغم علمي بما ينقصه، كنت أرى النقص كمالًا بصورة أخرى، كانت لي فلسفتي التي ترضيني عن عطاء الله لي، حتى جاء ذلك الجهاز اللعين، وتسلل معه عدم الرضا عن حياتنا، كان هدية، وجمع زوجي المال سنوات ليشتريه، ويمنح لي وسيلة للتسلية والتعلم، ويمنح لأبنائنا وسيلة للعب، لكن تلك الوسيلة كانت قنبلة موقوتة هدمت كل شيء، وأكثر ما سلبتنا إياه كان الرضا، بدأت الحكاية بنصيحة صديقة بفتح حساب على أحد مواقع التواصل الاجتماعي، لترسل لي صورها ورسائل من خلاله، فكأنني قد فتحت باب جهنم على بيتي ونفسي وأسرتي، في بداية الأمر لم أنتبه لخطورة الأمر، كان الأمر أشبه بجمع أصدقاء قدامى فرقتنا الحياة في دروبها، وبعدها بدأت في تتبع أخبارهم وقصصهم من باب الاطمئنان عليهم، وبدأت رحلة المقارنات خلال حديثنا، بدأت أشعر أنني بحاجة لأن أبرر شكل حياتي التي كنت أشعر برضى عنها، أصبحت لا أظهر الصورة كاملة، أبحث عن الجزء

الأكثر جمالًا لأظهره، أصبحت مُرائية، أتعمد الحديث عن نفسي وأسرتي بصورة بها شيء من التباهي، حتى أبنائي كان تأثير ذلك الجهاز عليهم لعينًا، فألعابهم لم تعد ترضيهم، وحياتهم لم تعد تعجبهم، أبنائي الذين كانوا يحمدون الله كثيرًا، أصبحوا متذمرين متأففين ساخطين لا يرضيهم شيء، ولا يعجبهم شيء، أنا كذلك بدأت أطالب بالمزيد، أتقبل ساعات أكثر من غياب زوجي عن المنزل لمزيد من المال لأظهر بصورة أفضل؛ لألبي حاجاتي المادية التي ظهرت بشدة، خاصة بعد تلك المقارنات الظالمة التي أخذتني إليها أحاديث الصديقات القديمات التي كانت حياتي مستقرة جدا وهادئة قبل ظهورهن، أسوأ ما في الأمر أنني نسيت أهم نعمة رزقني الله بها، وانشغلت عنها سعيا وراء المزيد الذي لا حد له، لم أنتبه لزوجي الذي أصبح يقضي معظم الوقت بالخارج ليلبي حاجاتنا، لم أنتبه لتلك الصديقة التي ظهرت لتشاركه وتشاركني الحياة، أنا غائبة عنه، ومشغولة في المزيد مما لا أريده حقًا، وهو غائب ليلبي تلك المطالب التي لا تنتهي، أشقته المطالب، وأشقاه انشغالي، وشعر أنه بحاجة لمن يقاسمه الهم، من يشكو لها مطالب زوجته التي لا تنتهي، من تشعره أنه لا يزال إنسانا يعني لآخر، لا ماكينة سحب أموال، فتسللت هي

كلص محترف تأكد من غياب أهل البيت ليسرقه، فحاولت سرقت أغلى ما في البيت ، سرقة زوجي، وأبو أبنائي، وكل شيء، وبرغم أنها حاولت سرقته، إلا أنني مدينة لها؛ لأنها كانت سببًا لاستيقاظي وانتباهي، فحين يحاول لص سرقة حقيبتك ويجرها بكل ما يملك من قوة، فإنك تواجه بقوة أكبر لتأخذ حقك، قوة تتعجب منها لأنك لم تكن تعرف أنك تملكها، وهكذا أيقظتني، فاستعدت وعيي وزوجي وأسرتي وأبنائي، وأغلقت هذه الصفحة، وبدأت صفحة جديدة من حياتي، مستفيدة من الدرس، يَقِظَةً راضية من جديد بكل نعمة رزقني الله بها، دون مقارنات وتباهٍ...

لحظة تراجع..

اعتراف

الحقيقة أنني تذوقت شعورا لم أتذوقه من قبل، ذقت حلاوته فرغبت في المزيد والمزيد، وكلما ارتشفت منه رشفة شعرت أنني لم أرتوِ، وشعرت أني أطمع في المزيد، كان زوجي رجلا متعاونا، لم يكن يتصيد لي الأخطاء كما يفعل بعض الرجال، لم يكن يبدأ يومي بصراع على الأمور التافهة، لم تكن مشاكلنا من نوع: لمَ لمْ تعدي لي الطعام الفلاني؟ لمَ لمْ تجهزي ملابسي؟ أين جوربي الأسود؟ بل العكس، فكثيرا ما كان يحمل عني همومي: أنت متعبة اليوم، فلا داع لإعداد هذا الطعام الصعب، سأحضر طعاما من الخارج وأنا قادم، لا تتعبي نفسك في هذا، أنا سأقوم به، اذهبي للنوم، وأنا سأجلس لأكمل الواجب مع ابننا، وهكذا اعتدت منه أن يضحي، وفي يوم كنت أشتكي له من سأم وملل، وأن الأيام باتت تشبه بعضها، وجدته يذكرني بحلم قديم منحني الأمل في استعادته، لمَ لا تكملين دراستك؟! كنا قد التقينا في آخر سنة في الجامعة، وكانت لدي رغبة شديدة في مواصلة الدراسة، لكن انشغلنا بالخِطبة والزواج واستعداداتهم، ثم الأبناء، ثم نسيت، فجاء ليجدد ليَّ الأمل، ثم قمنا بالذهاب للتقديم للدراسات العليا، وبدأ هو في إكمال دعمه ومساندته لي، كان يدفعني للفرقة دون قصد، كان يدفعني للنجاح، فكنت أبتعد

عنه، وهو يظن أن نجاحي نجاحه، بدأت في استكمال دراستي، وبدأت أتذوق طعم النجاح من جديد، وعُدت لحلمي الذي أخرني عنه الزواج والأبناء، فلم أنتبه لما أفعل، كان زوجي يضحي، وأنا أزداد أنانية وتمسكا بحلمي، بدأت أهمله وأهمل المنزل والأبناء، لماذا عليَّ أن أضحي؟ لم لا أعطي وقتي كله لدراستي؟ لم لا أعمل وأحقق نجاحًا ذاتيًّا؟ هل خُلقت للمنزل والأبناء؟ هل هذا الدور الصغير التافه هو ما علي أن أحيا لأجله؟ لم لا آخذ إجازة من كل هذا لأحقق حلمي؟ أخذت أفكر وأفكر وأتخيل نفسي دون مسؤوليات، دون زوج وأبناء، دون أعباء المنزل والتربية وإعداد الطعام والعناية بالزوج، فوقتي مقسم بين دراستي وعملي الذي أنفق منه على دراستي، وأطبق من خلاله ما درست، حتى أعلنت رغبتي تلك بصوت مرتفع؛ وطلبت من زوجي الطلاق والاستقلال بحياتي لأكمل دراستي، صُدم زوجي من الفكرة، وحاول أن يُثنيني عنها بإقتراحات جيدة، لكني لم أكن أسمعه ولا أسمعها، ما رأيك في أن تأخذي قسطًا من الراحة واجازة من أعباء المنزل لتهتمي بدراستك، وبعد فترة نعود لحياتنا سويًا؟ ما رأيك أن تنهي دراستك، وبعدها تنطلقي في العمل، لأن العمل والدراسة ومسؤولية البيت والأبناء مرهق

عليكِ، لكنني لم أسمع، وكأنني صرت صماء وعمياء، وأغلق عقلي، ولم أرَ سوى شيء واحد وهو الطلاق والاستقلال، ولأنني كنت أعلم مدى حب زوجي لأبنائنا؛ كنت مطمئنة أنه سيعتني بهم جيدًا، وربما أفضل مني، نفذ لي رغبتي في الطلاق، وبدأت أواجه الحياة وحدي، بلا مسؤوليات ولا زوج أو أبناء، في البداية كنت سعيدة بتجربة الاستقلال كما أردت؛ فوقتي مقسم بين الدراسة والعمل، ولا شيء يعطلني، ومضى الوقت، وبدأت أحرز تقدمًا في الاثنين، ولكني أتراجع نفسيًا، فأنا لست آلة لجني المال، ولست طابعة لتحصيل المزيد من الدرجات العلمية، فأنا إنسان يحتاج للناس ويحتاجون له أيضا، يعمل لينفع الناس وينفع نفسه، ويطبق ما تعلمه، لكن لا يتحول لآلة بلا علاقات إنسانية، لا يُقصر في حق أسرته ونفسه من أجل العمل أو العلم، التوازن كان مطلوبا، وهذا ما كان يريده زوجي لكنني لم استمعْ له، والآن بعد أن أدركت هذا؛ شعرت بحاجتي للعودة إلى بيتي وزوجي وأبنائي، بحاجة للاعتذار لهم ولنفسي، لكنني لم أكن أمتلك الشجاعة الكافية، وترددت كثيرًا لأخذ تلك الخطوة التي شعرت برغبة شديدة في احتياجي لها، أنا أخطأت ويجب أن اعترف وأعتذر، لكن كان هناك ما يحول بيني وبين تنفيذ القرار، ربما

كبر، ربما خجل من الاعتراف، ربما شعور بالذنب، وبينما أنا أفكر وأحاسب نفسي وأبحث عن طريقة أستعيد بها حياتي وزوجي وأبنائي الذين أهملتهم كثيرا؛ دق جرس الهاتف، فإذا بزوجي الطيب يسألني عن حالي ويطمئن عليَّ، ويخبرني أن إجازة الأبناء قد بدأت؛ فما رأيك في أن تقضي معهم بعض الوقت لأنهم يشتاقون لك، طمأنني صوته وأسلوبه، وجعلني أتخلى عن كبري وأعترف وأعتذر، وشعرت به يرحب بي، ويفتح لي قلبه ليستقبلني من جديد، وتعود أسرتنا لتنعم بالاستقرار، فحمدت الله كثيرًا، لكنني تعجبت من إحسانه رغم سوء تقديري وتمسكي بقراري السابق، عدت لبيتي وأبنائي، ووضعت أحلامي القديمة بعيدًا، واستبدلتها بأحلام جديدة لا تؤثر سلبًا على استقراري النفسي واستقرار أسرتي وعلاقتي بزوجي.

لحظة تغيير

قطرات الود

هـو لا يـشكل لـي الأمـان الـذي أحتاجـه، لـم يمنحني أُنـسًا عوضًا عن سنين الوحـدة، ولا يجعلني أشـعر بحبـه، وبـأنني تلـك الفتاة التي تخيرها دونًا عن كل الفتيات، كل ما هنالك أنه لم يكـن هناك خَيارًا أفضل منه، ولا حـب كبيـر أو صـغير حتى، فقبلـت بـه قبول اليائس في إيجـاد الـسعادة، فرضيَ بمـا هـو دونهـا، كـان دون السعادة ودون الرضا، لكن قبلت وأخذت أتعلـق بكـل شـيء تافـه وصغير من مسببات السعادة؛ لأقنع نفسي وأقـنعهم أنني سـعيدة، وأنـه يهـتم بـأدق التفاصـيل ليـسعدني، وهـو حتـى تلـك الأشـياء الصغيرة والتافهة التي يحـرص كثيـر مـن الرجـال علـى لفـت نظـر المـرأة بهـا والتـودد لهـا، لـم يكـن يجلبهـا إلا بعـد إلحـاح شـديد، فكنت أدعي أمامهم سعادتي بها، وهـم يظنـون أنني أسـعدهم وأنـا أشـقاهم، ولا أدري لمـاذا علـيَّ أن أكمـل تلـك الحيـاة، وأواصـل ادعـائي أننـي بخيـر، رغـم أننـي أخطـأت في اختيـاري، وتعجلـت فدفعت ثمن خطأي، ولا أملك جرأة إنهاء ما بدأت، لكـن لابـد أن هناك خطة بديلة للحياة، مخرج آمن نكمل به الحيـاة حـين تخنقنـا الظروف، والحقيقة أنه مخرج آمن وحيد لجأت له مرارًا وتكرارًا، وكـان الأمـان المطلـق، اسـتخرت ربـي ودعوتـه، سـألته أن يـرزق قلبي السكينة ويدلَّني على الطريق، هل عليَّ أن أكمـل حيـاتي معـه

رغم قسوتها وقسوته، أم عليَّ أن أنهيها، بكيت كثيرًا حتى جفت دموعي، وقمت من صلاتي وأنا عازمة على الطلاق وإنهاء حياتي معه وإكمال رحلة الوحدة، فالوحدة أهون ألف مرة مما أنا فيه، لكن كلما هممت لهذا الطلب، انعقد لساني ونسيت عزيمتي تلك لإنهاء الحياة معه، هو ليس بالإنسان الشرير لكنه قاس، والقسوة مؤلمة، أجلت هذا القرار وأنا أراه أفضل حل لحياتنا سويًا، حتى مرض زوجي مرضا بسيطا؛ فشعرت وكأنه إنسان آخر يخفي خلف هذا القاسي إنسانا شديد الطيبة والرقة، لم أكن أفهم؛ لماذا يخفي إنسان أجمل جانب من روحه، ويظهر عكس ذلك، والغريب أن في هذا الوقت من مرضه وضعفه تبدل حالي، وشعرت بأن قلبي قد تعلق به تعلقا شديدا، أحببته وتعاطفت معه وتمنَّيت لو يبادلني نفس الشعور، وعقدت النية للرجوع عن قراري السابق، وأن أمنحه فرصة أخرى، وأمنح نفسي فرصة أخرى للحياة، عجيب أمر الحب؛ يمنحك صبرًا على كثير من الألم، يجعلك تعذر وتسامح، فتبدل حالي معه، برغم أنه بعد ما تماثل للشفاء، عاد كما هو بقسوته وشدته، لكنني لم أتخلَ عن حبه، وقررت أن أتعهد قلبه بالسقاية حتى يزهر ودًا، وكنت أحاول جاهدة أن أبحث عما يحب، وعما يرضيه لأفعله، أشياء

صغيرة جدًا دائمة، وهو كما هو، وبرغم أنني لم أجد صدى لما أفعله، لكنني كنت أعلم أن الوقت كفيل لقلبه، وأن القلب كالأرض الجدباء؛ إذا حرصت على ريها والعناية بها؛ فسيأتي يوم وتجني منها خيرًا، لم أكن أشعر بضيق لما أبذله، فمن أحب بذل، وأنا أصبحت أحبه وأجد له في نفسي احتمالا له كما هو، كل ما كنت أريده أن أشعر أنه سعيد، أن أسرق ابتسامة رضا من عينيه، أن يرق قلبه يومًا، ويبادلني ذلك الشعور الذي قلب حياتي معه، أو ربما عدَّلها للأفضل، لم يكن الحب وحده سندي في هذا الأمر، فكان الإيمان بعدالة ربي سند دائم، صلاتي ودعائي وعودتي لربي، فكان يمنحني الرضا، ويجعلني أواصل ما بدأت، حتى وإن لم أجد جدوى لما أفعل، ومضى الكثير من الوقت في حب، وكنت أنتظر أن يأتي الوقت الذي أقطف فيه زهور الود التي تعهدتها حتى أزهرت، في لحظة تبدل كل شيء نبتت الأرض الجدباء ودًا، لم تضِعْ قطرات الود التي سقيت بها قصتنا سُدى، ولم يضِع عند الله ما فعلت، والأهم أنني لم أعد بحاجة لادعاء السعادة وإظهار عكس الحقيقة، ولكنني تخلصت من فضولي لمعرفة باقي فصول القصة التي جعلته يخفي طيبته بالقسوة، واكتفيت بلحظات السعادة واليقين والود الذي جعلتني أجني الود.

لحظة حزن..

الحزانة ه/ه

جلست أبكي وأخرج الأغراض من الخزانة، وألقيها في صندوق كبير كما لو أنها أشياء لا قيمة لها، ربما يغتبط الناس لامتلاكها، لكنها شكلت حاجزًا بيني وبين زوجي، وددت لو أنه لم يشترها، أذكر كل هدية بتاريخ شراءها ومناسبتها، على عكس غالبية النساء، فأنا أذكر له هداياه، وأحفظ مناسباتها، إن صح هذا المسمى على سبب الشراء، لم تكن هدايا لأعياد ميلاد أو مناسبات جمعتنا، بل كانت قيودا، ومسكنات نُنهي بها أي خلاف، ليتنا اختلفنا، بل ليتنا تخاصمنا، ليتني صرخت وقتها وبكيت وأخبرته بما يحزنني منه ومن الحياة، لكنه لم يعطيني تلك الفرصة، لم يسمعني، كلما ظهر خلاف بسيط بيننا، كان يُؤده، وإن تخاصمنا، يُنهي الخلاف سريعًا، ويذهب لعالمه، ثم يعود ليصالحني بهدية، ونُغلق سبب الخلاف، ونُلقي به بعيدًا خارج منزلنا، ولا نعود لنفتحه مجددًا، لكن العجيب أن تلك الخلافات التي كنا نلقي بها بعيدًا، كانت تعود وتبني حاجزًا بيننا، كل خلاف لم نعطه حقه كنت أبتلعه؛ فتصيبني غُصة من عدم فهمنا لبعض، كنت أظن البيوت الهادئة الخالية من الخلافات بيوت جميلة، ينعم أصحابها بالحب والود، لكنها ليست كذلك، فبعض الخلافات كالجروح التي يجب أن نفتحها ونعقمها قبل أن

نغلقها، المشكلات والخلافات تبني العلاقات، كل مشكلة نختلف فيها ويسمع كلٌّ منَّا الآخر، ونحاول أن نصل لحل يرضي جميع الأطراف، هي بمثابة تطعيم يقينا من معاودة تلك المشكلة لتمرض الحب بيننا، لكننا لم نفعل؛ فأعيتنا أتفه المشكلات، أخرجت تلك الأغراض من خزانتي التي كنت أسميها ه/ ه، فتلك الخزانة مليئة بالهدايا، وهذا القلب مملوء بالهموم والأحزان التي تسببت بها تلك الهدايا التي أسكتتني عن الدفاع عن وجهة نظري مرة في شكل منزلنا، وأخرى في هدف تخليت عنه لأجله دون أن أقتنع، وثالثة في صديقة ابتعدت عنها دون سبب مقنع، وغيرها وغيرها من التنازلات التي ابتلعتها لأحافظ على الحب؛ فمات لنقص الأوكسجين، نعم الخلافات أوكسجين العلاقات، لا أدعو لها لكنها ستواجهنا دائما، ولو غضضنا الطرف عنها لعادت لتطعن علاقاتنا دون أن ندري، أمسكت قلمي، وأخذت أدون قصتي، وأكتب معها نصيحتي لابنتي ولكل حبيبين؛ أن لا يلقوا بالخلافات خارج منزلهم، ولا يغلقوا باب الخلافات والخصام، بل أن يتعلموا كيف يختلفون، وكيف يستمعون لبعضهم البعض، وكيف يتقبلون الاختلافات ويتعاملون مع المشكلات، ليتني أعود وأختلف؛ لأعيد ذلك الحب الذي مات...

لحظة وداع . .

ماذا حدث في غيابك ؟ !

لـم تفـارقني روحـي كمـا تظـن، لـم يجـافِ النـوم عينـيَّ، لـم أغرق في دموعي، لم أشعر بوحشة أو غربة، بل حدث ما لـم أكـن أتوقعه يومًا..

ما حدث أننا ابتعدنا، لم نعد نتحدث أو نتقاسـم الهمـوم كمـا كنـا نفعـل، وابتعـدنا فابتعـدنا، في البدايـة كنـت أظنهـا النهايـة، ثـم اعتدت غيابك كمـا اعتـدت غيـابي، أشـرقت شـمس حـب آخـر في حياتي، لا تتعجب، فمن أحببت كان أقرب لي منك، لكني لم أكـن أعيره انتباهي واهتمامي وحبي، برغم أنه يستحق الحب، ولكي لا تطـول حيرتـك وتبحـث بـين أصـدقائنا المقـربين، سـأخبرك مـن أحببت، لقد أحببت حبيبتك السابقة...، نعم، هي حبيبتك السابقة التي لا حبيبة لديك سـواها، نعـم، لقـد أحببـت نفسي، واهتممـت بأمرهـا، وشـعرت بأنهـا تـستحق الحـب، حـدث أيـضا مـا لـم أكـن أتوقعـه فبعـد أن ابتعـدنا وابتعـدنا، شـعرت بحريـة لـم أعهـدها مـن قبل، شعرت أن عقلي بدأ يتنفس قليلا، بدأت أفكر وأقـيم علاقتنـا دون مـؤثرات حبـي وتعلقـي بـك، دون تـأثير دوامـات الحـديث الطويلة التي كانت تأخذني، وكنت تأخذني إليها دائما فـلا أسـتطيع التفكير، كنـت في صـراع بـين عقلـي وقلبـي، والبعـد حـسم الأمـر، جعلنـي أدرك أننـي لـم أكـن أحبـك بقـدر حبـي لحالـة القـرب

والاهتمام التي كانت تجمعنا، فلقد كنت تجيد الاهتمام، وكنت تحسن معاملتي، ولكن هذا ليس كل شيء، أدركت في البعد أننا لم نكن متناغمين كفاية لنكمل لحن الحياة سويا، أدركت أننا -لا شعوريا- لحاجتنا للحب والاهتمام نقنع أنفسنا بإمكانية الاستمرار مع من لا يشبهوا أرواحنا ولا يكملوها، أدركت أنني من البداية كنت بحاجة لأن أبتعد عنك، لكن جرفنى تيار الهوى قليلا؛ فتعلقنا ثم أفقنا حين ابتعدنا، أعلم أنك قد تتعجب، ثم تعترف أنك تبادلني نفس الشعور، وأنك اكتشفت أن البعد أمر صحي جدا ومريح، يسمح لعقلك بالتنفس ولروحك بالانطلاق، ولا أنكر أنني ما زلت أحمل لكَ في قلبي ودا، كالود الذي أحمله لكل البشرية، ولكن يزيد عليه أنني أحمل لكَ أماني صادقة؛ بأن يرزقك الله حبا تقر عينك به، وتسعد روحك وعقلك وقلبك به، وأعلم أن الله سيتقبل أمنياتي وتتحقق قريبا، لأنك لم تسيء لي يوما أو تظلمني، كل ما هنالك أننا أدركنا أننا في البعد أفضل حالا، فابتعدنا، وهذا كل ما حدث، فهلا قاسمتني أمنياتي وعفوت عن قلب لم يرد يوما إلا الخير لك وله.

لحظات صمت . .

حقوق وعقوق

لا تتحدث بصوت مرتفع فوالدك نائم، حان وقت المباراة وعليك الصمت واللعب في غرفتك، حتى لا تزعج والدك، عليك أن تذاكر لتسعد والدك، اجمع ألعابك سريعًا، والدك سيعود بعد قليل من العمل ويجب أن يجد البيت منظمًا، لم أعرف كيف أعترض، لكنني كنت أرغب كثيرًا في اللعب بصوت مرتفع لأوقظ أبي من النوم ليشاركني اللعب، تمنيت كثيرًا لو أطفأنا التلفاز ولعبنا مباراة أنا وهو، وددت لو شاركني تفاصيل يومي هو وأمي، لكن كان علينا أن نركض ونصمت وننفذ الأوامر لنحظى بالحب والاحترام، ومع الوقت؛ كثير من الحواجز مع تلك الطاعة العمياء؛ تسلل اللاحب، ليشمل شعوري تجاه والدي، رغبت لو شاركني اللعب أو عاملني كصديق، حتى حين بدأت أكبر في العمر وأقترب من مرحلة الشباب؛ شعرت أنني بنظره ما زلت ذلك الطفل الذي لا يعرف مصلحته، فكان يقرر عني، وكان لدي شعور أنني لا أعرف ما أريد، وأنه سيعرف أكثر مني، فتركت له كثيرا من القرارات التي كان عليَّ أن آخذها بنفسي، ومع الوقت بدأت أشعر بالندم والحيرة، فكثيرا ما اختلط الخوف من عقوق والدي بطاعتهم؛ فاصبحت حتى وإن وجدت في نفسي ميلًا عما يريدون، كنت أخالف نفسي بدعوى بر الوالدين، وبدعوى أن

النفس قد تسوق صاحبها للشر، ولكنني كنت مخطئا، فقد أضعت كثيرا من الوقت دون أن أعبر عن نفسي، بل دون أن أبحث عن نفسي، وكل ما كنت أخشاه أن أفقد بر والديَّ وحبهم، ولكنني كنت أفقد فرصي في البحث عن نفسي وميولي واكتشافها، وفقدت حبي لهم، فكل تلك الطاعة التي تفتقر للنقاش والفهم والإقناع أضاعت شعور الود، نعم، كنت صغيرا لا أعرف مصلحتي كما يقولون، فكنت بحاجة لتوجيههم ومعونتهم، لا لأوامرهم التي عليَّ تنفيذها، احتجت لسنوات في محاولتي للبحث عن نفسي وفهم ما أريد وكيف أصل له، وكل ما كان يشغلني كيف أربي أبنائي دون تكرار تجربة والديَّ معي، فكنت أرغب بطاعتهم دون خسارة حبهم، كثيرًا ما غلبني خوفي عليهم وكدت أقيد حريتهم، لكنني كنت أحاسب نفسي أولًا بأول؛ كي لا أكون بالصورة التي لا أحبها، وكنت حريصا على اللعب معهم والحديث معهم، وبدأت بمصاحبتهم مبكرًا، ومعاملتهم كراشدين حتى يكونوا كذلك، وحين كنت ابنا، كنت أكره خوفهم وحرصهم، وحين أصبحت أبا، وجدت نفسي ألتمس لهم العذر، لكنني أشعر أنني وكثير من الأبناء سُلبنا حقوقنا خشية العقوق.

لحظة دفاع . .

هذا وقد كان الرد قاسيًا !

جاء اليوم المنتظر بالنسبة لهم ولنا، يوم الزيارة، زيارة المُوَجهة وتقييمها لأدائهن، الدفاتر مرتبة منمقة، يستحقون عليها أفضل الدرجات، وربما المكافآت، والمدرسة نظيفة جميلة متطورة كما يريدون أو كما يدعون، أما نحن فقد أعددنا خطتنا للدفاع، تخيرنا أضعفنا شخصية وأقلنا جرأة لنوكل لها هذه المهمة، مهمة وضع رسالة في صندوق الرسائل الخاص بمشاكل الطالبات أمام غرفة الأخصائيات الاجتماعيات، وقليل من الورق الممزق والقاذورات أمام غرفتهن وفي الممر المؤدي لهن، فعلت هذا أثناء طابور الصباح، لم نتخير أقلنا جرأة حتى نضعها وحدها أمام المسؤولية، لكن لنثبت لها أنها ليست كما يقولون ضعيفة، وأنها تستطيع فعل ما تريد، انتهى طابور الصباح، وذهبت الموجهة لغرفة الأخصائيات، وكان منظر الممر ومدخل الغرفة محرجًا، تبدل لون وجوههن، وشعرنا بسعادة من أخذ بحقه، وفي صندوق المشكلات وجدوا رسالة قد كُتبت بواسطة الحاسب الآلي، بها بعض السب والشتم، لكن انتقينا تلك الكلمات التي يتعمدون أن يكسرونا بها، كتبنا كل الأسباب، ثم أنهينا، هل آلمتكم تلك الألفاظ كما تؤلمنا كلما أعدتموها على مسامعنا دون سبب، نعم، كان الرد قاسيًا، لكن هذه هي الوسيلة التي قد

تشعرهم بخطأهم، لن نتمكن من الشكوى ولن يسمعنا أحد، لم نتصور يومًا أننا قد نملك الجرأة لفعل ما فعلنا، لكن هم السبب، فقد خانوا الأمانة وسخروا منا، في بداية العام، دخلت إحدى الأخصائيات للصف، وكانت كما يبدو متفهمة لطبيعة مرحلتنا، وأخذت تسرد القصص لنا، وتخبرنا أنها وكثير من الكبار قد مروا بما مررنا به من شعور، جعلنا هذا نثق بهم ونحكي لهم أسرارنا، مشاكلنا مع أسرنا، حكت إحدى الفتيات عن شعورها تجاه أحد الزملاء، وحكت أخرى عن ثقتها بنفسها التي تتأثر سلبًا بأبسط الكلمات، وهي تسمع، ونحن نظن أنها ستساعدنا لنتجاوز تلك المشكلات البسيطة التي غالبًا ما تواجه أي إنسان في بداية حياته، فذلك الشعور الذي يتملكك تجاه زميل الدراسة أو ابن الجيران شعور طبيعي، كل ما كنا بحاجة له أن نستوعبه، ونعي أنه شعور سيتبدل كما تتبدل ملامحنا، ويجب أن نكون حذرين، حتى لا يشغلنا هذا الشعور عن التحصيل الدراسي، هذا كل ما في الأمر، وحتى المشاكل الأسرية التي تواجه البعض، وارد أن تكون أمرًا طبيعيًا لا يشين صاحبه، أما مشكلة الثقة بالنفس، فربما كلمات بسيطة إيجابية كان بوسعها أن تجعلنا نتجاوز المشكلة، ربما حتى مجرد الإنصات لنا ومنحنا مساحة من مشاركتنا ما نشعر به كافية

جدًا دون إيجاد للحلول، لكن ما حدث كان قاسيًا، فهؤلاء الأخصائيات استغلوا مشاكلنا في أبحاثهن، ولم يعيننونا على تجاوزها، بل وذكرونا بها، وأشعلوا في قلوبنا الرغبة في الانتقام ورد الصاع صاعين، فكان الرد قاسيًا، فكما يهتمون بالمظاهر فقد أفسدناها عليهم، وجعلناهم يشعرون بقسوة ما فعلوا، غير أن ألم ما تركوه في نفوسنا لن يُمحى بسهولة..

لحظة غرق . .

أمواج عالية .

كان الموج عاليًا هذه المرة، لنقل أنه أعلى من كل مرة، لأنه دائمًا ما كان الموج عاليًا، الحياة، الهموم، الفراق، والنصيب، نغرق منذ ولادتنا وحتى نموت آلاف المرات، لا أدري ما الذي يجعلنا نستمر ونقاوم، ربَّما هدف داعب مخيلتنا حتى ظنناه واقعًا محققًا، ربما أمل طال انتظاره، وقبل أن نغرق كان علينا أن نأخذ كل أسباب النجاة؛ فنلقي كل حمل زائد؛ كي لا تغرق السفينة ونبقى على قيد الحياة، فتستمر رحلة الألم، لا أدري من أين أبدأ قصتي، من أول شاطئ جلست عليه؟ أم من آخر شاطئ؟ كنت صغيرا، أنتظر إجازة الصيف بفارغ الصبر لأجلس على الشاطئ، لم أكن أحب اللعب بالرمل كباقي الأطفال، لكنني كنت أحب البحر، وأحب أن أنظر ولا تحد رؤيتي شيء، أحب الشمس حين تودعنا و تغوص في الماء ثم تختفي، أحب أن أنظر للأمواج وهي تتسابق وتتصاعد وتتجاوز الشاطئ وتلاحقني، أحب أن أنظر عبر البحر وأتخيل أنني سأتجاوزه يومًا، وأبحر بعيدًا لأرى ما خلفه من مدن وشواطئ، كبرت وكبرت معي أحلامي، لكن الأمواج أيضًا كانت تكبر وتكبر، حتى تكاد تغرقني، كان أبي يقاتل لأكمل دراستي وألتحق بالجامعة التي أريدها وأحقق حلمي، وكنت أوصل الليل بالنهار لأحقق حلمي وأسعده

وأشكره على ما يفعل من أجلي، بذلت أقصى ما في وسعي، بل ربما تجاوزته لأحقق ذلك الحلم، لكن الموج كان عاليا درجة ونصف، نعم درجة ونصف كانت تفصلني عن الحلم، التخصص الذي أريد، لكن لا بأس لابد أن هناك خططًا بديلة وأحلام أخرى بوسعي تحقيقها، وإذا لم تكن ما تريد فرد ما يكون، وهكذا أجريت حوارًا عقليًا مع نفسي، لأقبل بالأمر الواقع، رغم الألم الذي كنت أتجرعه، بدأت رحلة جديدة، وبحثت في الحلم الجديد عما يجعلني أحبه وأتمسك به، رسالة عظيمة، فضل نقل العلم، صدقة جارية، ورثة الأنبياء، وهكذا بدأت أقنع نفسي، فأحببت حلمي الجديد وأحبني، وأعطيته وأعطاني، وأجمل ما أعطاني؛ تلك الزميلة التي رأيت فيها فتاة الأحلام والحبيبة والزوجة التي أريدها أن تشاركني الحياة والأحلام، وقبيل انتهاء الدراسة أخبرتها، وأبدت ارتياحا وقبولا، ولكن كان علينا أن نبذل الكثير لنتمكن من تحقيق حلمنا الإنساني المشروع في بيت وأسرة وأبناء، وبدأنا الرحلة، رحلة البحث، ثم رحلة العمل، رواتب قليلة، بل لنقل رواتب بخيلة، لا تكفي لتحقيق أبسط الحقوق لا الأحلام، لم أكن أريد أن أكون تاجرًا يتاجر بالعلم، ويجبر التلاميذ على الدروس، لكنني كنت أجدف وحدي، وكان الموج

عاليًا، فبرغم حرصي على نقل العلم بما يمليه عليَّ ضميري، لكن كثيرًا ما كنت أجد إصرارا من إدارة المدرسة على إعطاء مجموعات مدرسية، وإصرار الأهل على إعطاء الدروس الخصوصية، فوجدت نفسي قد أصبحت جزءا من المنظومة الفاسدة، لكن لا بأس، أنا لا أعمل عملًا محرمًا، فتحصيل التلاميذ يختلف، وأنا أتقاضى المال مقابل العمل، وهكذا بدأت الرحلة ومازال الموج يعلو ويأخذ معه شيئا فنغرق، وإن كنا لا نزال على قيد الحياة،

أصبحت أعمل مدرسًا في المدرسة، وأعطي الدروس الخصوصية، وكان العمر يمضي، والأهل يلحون على حبيبتي بقبول من يتقدم لها، وكان علينا أن نفعل شيئا، لكن عملنا لن يمكننا من الزواج سريعًا، وهذا ما يريده الأهل، وبدأت أحاول أن أفكر في طريقة، حتى بدأت تُلح عليَّ تلك الفكرة، وبدأت أسمع كثيرا من يشجعون عليها، لكن كيف سنسافر؟ ومتى؟ وحتى السفر مكلف، فقررنا أن نبحث عن منح دراسية، فبحثنا أنا وهي، وقدمنا، ولكن جاءت منحتها قبلي، وقرر أهلها قبول سفرها، وسبقتني بأشهر، كان الفراق صعبًا، والقلق قاتلٌ، فتاة تسافر وحدها في بلاد غريبة، تختلف عنا في القيم والدين والمبادئ،

لكن ها هو الموج يعلو ويعلو، ونحن نحاول النجاة قدر استطاعتنا، ظهرت منحتي؛ ولكن الصادم أنها كانت في مدينة أخرى غير مدينة حبيبتي، لتجتمع لنا الغربة والفرقة، لتزيد علينا الألم والوحدة، أعمل هنا عملا لا يمت لما تعلمت بصلة لأجني المال وأكمل دراستي، أجلس على الشاطئ وحدي، أنظر إلى البحر، أتخيل الجانب الآخر من الشاطئ وطفولتي، أتمنى لو كان بوسعي أن أعود لذلك العمر وتلك الأحلام، فتحقيقها لم يكن جميلًا مثلها، أنظر للأمواج وهي تعلو وتعلو، ولا أركض خوفًا منها، لأن أمواج الغربة قد أغرقتني منذ جئت هنا...

لحظة قوة

مش عارفة

كنت هعمل إية من غيرك

"مش عارفة كنت هاعمل إيه من غيرك؟" هكذا قالت له حينما عرفها، كيف تصل شيئا كانت تريده، فتوقف وصمت قليلا، ثم قال لها: كنتي هاتعملي إيه من غيري؟؟؟

فتعجبت من سؤاله وحسبته يمزح معها، فابتسمت وسكتت.

ففاجئها بملامح وجهه الجدية، وكرَّر السؤال مرة أخرى: هتعملي إيه من غيري؟؟

فأخذت تفكر في إجابة لسؤاله وهي متعجبة، فهذا ما لم تعهده منه، تعودت عليه ملبيا لمطالبها، ويأخذ بيدها دون أن يشعرها بأنه متفضل عليها، أو دون أن يطالبها بالاعتماد على نفسها، وتساءلت في نفسها: ما الذي تغير؟ هل ملّ التعاون؟ أم تعب من مساعدتي؟ هل سئم ضعفي واحتياجي له؟؟ وأخذت الأسئلة تتسابق لذهنها، وقد بدت على وجهها ملامح الحيرة والقلق.

فنظر لها نظرة احتواء وعتاب معًا، وقال لها: ما بكِ؟ أين ذهبت؟؟ ما كل هذه التساؤلات التي دارت في ذهنك؟؟ أنا هنا معك ومن أجلك وسأبقى هنا ما دام هناك فيَّ روح، لكن أنا أحبك؛ أحبك قوية بي وبدوني، ولا أحب أن أرى ضعفك أو حاجتك، وتعلمين جيدا؛ أن لا شيء يسعدني في الحياة بقدر

مساعدتي لك قبل أن تفكري حتى، ولكن لأنني أحبك، ولأنني لست معكِ دوما، فأريدك قوية، واثقة بنفسك، معتمدة على نفسك، فكري ماذا ستفعلين من غيري؟ وأنت معي حتى لا يأتي يوم وتحتاجي لمعونة غيري؟ أنا هنا بجوارك، ثقي بذلك، ولكن يسعدني أن تكوني قوية معي وبدوني، وتعرفي ماذا ستفعلين، وكيف تتصرفين، وأنا معك لتأخذي خطواتك بثقة، وأنا معكِ تكونين أكثر قوة وثقة، حين أكون بعيدا عنك فقط، لاتقلقى أنا بجوارك، أساندك، أقف معك لتكوني قوية معي وبدوني.

أقلقتها كلماته، فسألته هل أنت بخير؟؟

هل أصابك مكروه؟؟ هل ستبتعد؟؟

فقال لها: أنا بخير، ولن أتركك أبدا حتى أترك الحياة، ولكن لأني أحبك؛ أريدك قوية، وأعاد عليها السؤال مرة ثالثة: كنتي هاتعملي إيه من غيري؟؟

وأخذت تفكر ماذا ستفعل، وهي تحاول استيعاب هذا الدرس الجديد في الحب، من يحبونا حقا؛ يحبون أن يرونا أقوياء معهم أو دونهم....

لحظة أمل

لنبدأ من جديد !

ثم تخلى عن كبره واعترف لنفسه أنه يحبها وأنه لم يعد يطيق صبرًا وسيفضي لها بذلك السر الذي كتمه عنها لسنوات وكان يأبى أن يعترف حتى لنفسه به، لكنه اعترف وقرَّر أن يُلقي بأمنيته كمن يُلقي بحجر نرد لا يعلم أي رقم سيظهر؟! ألقى الأمنية وانتظر الإجابة علَّها تحمل له السعادة أو تسطر النهاية لتلك القصة التي تبادل فيها اليأس والأمل في كل دقيقة تمر حتى احتار قلبه في أمره وأعلن عقله، الاستسلام لأي نتيجة وأبت الروح إلا أن تتعلق بمن تخيَّرها القلب.....

أحضرت الورقة والقلم وشرعت في الكتابة له كما اعتادت، تلك الرسائل التي ملئت ذلك الصندوق وفاضت كما فاضت روحها بحبه، كانت كلَّما أرادت الحديث معه جلست لتكتب له دون أن ترسل له الرسالة تفضي للقلم بسر القلب وتطوي الرسالة وتأمنها على السر وتنام مطمئنة أنَّها لم تخبره وأنَّها لن تخبره قبل أن يفعل، مضت سنة منذ آخر حديث بينهما سنة وهي تكتب وتطوي وتخبئ، سنة وهي تأمل أن تنسى وهي تتناسى، تأمل أن تنسى وتأمل أكثر أن يتذكَّر ويخرج عن صمته ويخبرها بما

أخبرتها به عينيه سلفًا، طوت الرسالة بعد أن كتبت مضى وقت طويل منذ آخر لقاء مضى الوقت وكأنه عمرًا مضت اللحظات وهي تمزقني، ما رأيك في أن تنسى ما مضى تنسى كبرك وتردُّدك وحيرتك وتتذكر ذلك الشعور الذي لم يغادر قلبك منذ التقينا وإن لم تفصح به، تتذكر حلمك في بيت وأسرة وأبناء يشبهوننا، وسأنسى في المقابل ذلك الوقت الذي أضعناه، سأنسى غيرتي وحيرتي التي جعلتني أشك في حبك، سأنسى قلة ثقتي بنفسي التي جعلتني أظن أن هناك أخرى فأبتعد دون عتب وأوصد قلبي وأقطع أي صلة تجمعنا لأن كبريائي يمنعني من السؤال، مقايضة صعبة وأمنية أصعب أن ننسى ونبدأ من جديد، نمحو السنوات التي جمعتنا وفرَّقتنا ونمحو معها الألم الذي خلفته ونجمع أول لقاء باليوم ونكمل سويًا، أكتب لك ما لن تقرأه وأستودعك ربي وأدعو لك بالسعادة حيث كانت....

أنهت الرسالة وطوتها ثم وضعتها في الصندوق وجلست تتأمل كيف ضيَّعهما الكبر وفرَّقهما، حمدت الله وسألته أن يعيذهما من الكبر فسقطت دمعة توبة من عينيها وقطع عليها

التفكير جرس الهاتف أنه هو يقول لها لنبدأ من جديد متناسين ما مضى نتخلى عن ذلك الكِبر والتردد ونبدأ حياتنا سويًا ويكفي ما أضعناه من أعوام بين تردد وحيرة وكبر..

وكأنه قد قرأ أمنيتها فحقَّقها لها...

الكاتب في سطور

♥ ولدت إيلياء عمارة في العراق لأم عراقية وأب مصري فتشكَّلت شخصيتها من ثقافة حضارتين، بدأت رحلتها مع القراءة بقراءة بريد الجمعة لعبد الوهاب مطاوع فتأثرت قليلًا بواقعيته الجميلة.

♥ تخرَّجت من كلية العلوم قسم اقتصاد منزلي ملابس ونسيج لكنَّها أحبَّت الأطفال والتعليم فتخيَّرت صحبتهم وصحبة القلم والورق وأثمر كل هذا عن مجموعتها القصصية الأولى "لحظة بلحظة" لمزيج من لحظات حب وتعلم وواقعية قرأتها بين سطور مدرسة الحياة، كما شاركت عبر صفحتها على الفيس بوك بألبوم "رسائل طفلي" وهي مجموعة رسائل كتبتها للآباء والمعلمين عن الأطفال اشترك فيها الكلمة والصورة لوصول تلك الرسائل، شاركت بمقال في مجلة اليقظة في باب كلام بنات بعنوان "ما عاهدتك على هذا!" ويرجع الفضل في هذا للأستاذة فاطمة الغرياني.

♥ تؤمن بأهمية الكتابة في إيصال ما تؤمن به وترى أن الكلمة لها أثر قوي في تغيير الإنسان، تحب القراءة لكثير من الكتَّاب وتتنوع قراءاتها بين القديم والجديد.

♥ تتمنى لو تستطيع أن تسهم كلماتها وقصصها في رسم صورة أجمل للواقع وتأمل في أن يشارك كل إنسان تجربته في الحياة بقصة بكتاب فكل إنسان لديه ما يكتبه ويقدمه ليسهم في تغيير الواقع للأفضل.

إلى اللقاء

في الكتاب القادم

إن شاء الله

.....

الفهرس

إهداء ٣
مقدمة ٤
لحظة البداية... ابني وأبجدية الواقع ٥
لحظة فارقة... نصف الحقيقة ١٠
لحظة تردد... شعور صامت ١٨
لحظة ألم... بوزن الريشة! ٢١
لحظة ظن!... كنت أظنه رجلًا! ٢٤
لحظة حب... لحظة بِلحظة ٢٩
لحظة حرية... لم تعد تدور في فلكه ٣٦
لحظة يقظة... فن التسكع ٤١
لحظة ندم... أختي تحب! ٤٧
لحظة صدق مع النفس... يحيا ٥٠
لحظة محاسبة... امرأتي ومرآتي ٥٨
لحظة افتقاد... صورة مع زوجي! ٦٣
لحظة فراغ... سقوط عابر ٦٦

لحظة وفاء... جبراً لكسري ٧٤
لحظة خداع... اعتليت المنصة وكلي أمل. ٧٧
لحظة ظلم... رحلة المقارنات! ٧٩
لحظة تراجع... اعتراف ٨٣
لحظة تغيير... قطرات الود ٨٨
لحظة حزن... الخزانة ه/ ه ٩٢
لحظة وداع... ماذا حدث في غيابك؟! ٩٥
لحظات صمت... حقوق وعقوق ٩٨
لحظة دفاع... هذا وقد كان الرد قاسيًا! ١٠١
لحظة غرق... أمواج عالية. ١٠٥
لحظة قوة... مش عارفة كنت هعمل إيه من غيرك ١١٠
لحظة أمل... لنبدأ من جديد! ١١٣